مذاهب وشخصيات

رجال من أفريقية

بقلم: عبده بدوى

تقديم: حبيب جاماتى


جامعة الإسكندرية

مذاهب وشخصيات

رجال من أفريقية

بقلم : عبده بدوي

تقديم : بقلم حبيب جاماتي

تقــديم بقلم / حبيب جاماتي

العملاق يصحو ·· المارد يخرج من القمقم ·· افريقية تستيقظ من سباتها العميق ·· الشعوب السمراء تنشد الحرية ·· هذه عبارات دارت على الألسنة ، وطافت على رءوس الأقلام ، وألفتها الأسماع ، بعد ان وضعت الحرب العالمية أوزارها مباشرة فى عام ١٩٤٥ ، وقد اتسع ترددها فى السنوات التالية وبعد أن كانت فى بادىء الأمر بمثابة قالب أفرغت فيه آمال الافريقيين وأمانيهم أصبحت تدل على حقائق ملموسة، ووقائع راهنة : فالمارد حطم القمقم والعملاق وقف منتصبا على قدميه ، يتحسس عضلاته ، ويضم قبضــته ، ويتحدى ويتوعد · والشـعوب الافريقية انتقلت من حال الى حال : ـ من المطالبة بالحرية الى التمتع بها ومن التغنى بالاستقلال الى ممارسته ·

كل ذلك تم فى بضعة أعوام · وقد اســتحقت سنة ١٩٦٠ أن توصف بأنها سنة التحرر الافريقى ، وأنها الحد الفاصل فى تاريخ القارة بين عصرين :

عصر بلغ الاستعمار فى ختامه أوج السطوة ومنتهى الجبروت ، وعصر بدأ الاستعمار فى مطلعه يتمايل ويترنح ثم ينهار ·

كانت الدول الاستعمارية التى اقتسمت افريقية ، واســتأثرت بخيراتها واستبدت بمقدرات شعوبها ، تعتقد أن سلطانها دائم لن يزول، وحكمها ثابت لن يتزعزع ·

عاشت الشعوب المستعمرة فى هذا الوهم عشرات الســنين ، وأعمى الطمع بصرها وطمست الكبرياء بصيرتها ، فلم تر العملاق وهو يتثاءب قبل أن يثب ، ولم تفطن الى المارد وهو يضرب بكفه فوهة القمقم، ولم تدرك أن الدنيا التى ضحكت لها بدأت تعبس فى وجهها وأن الدائرة التى دارت على غيرها أوشكت أن تدور عليها ·

ان مـا حدث فى افريقيــة ، فى الأعوام التى تلت الحرب العالمية

لمدهش حقا .. مدهش بالصحوة الجماعية التى شملت شعوب القارة المغلوبة على أمرها ، ومدهش بالمفاجأة التى داهمت شعوب الغرب الغالبة اللاهية عن الخطر .

قارة بكاملها تنطلق من الظلام الى النور ، من العبودية الى التحرر، من التبعية الى الاستقلال .

كيف حدث هذا .. ؟ من الذى صنع المعجزة ؟ .. بأية لعبة من الأقدار تحققت الأمانى والآمال ؟ .. بسحر أى ساحر – فى بقاع لا يزال للسحر فيها مكانته بين الناس ونفوذه على عقولهم – نهض الخانعون بالأمس من غفوتهم ، وانطلقوا فى الميدان الدولى يصولون ويجولون ؟

هذه اليقظة الرائعة ، من الذى فجر طاقاتها ، فجعلت القبائل تشعر بأنها أجزاء من شعوب ، والشعوب تدرك ان لها قومية تستحق أن تأخذ مكانها بين القوميات التى تلتئم وتقوى وتتماسك فى رحاب هذه الأرض ؟

من الذى جعل القارة الافريقية تهم باللحاق بالقارات الأخرى وتعتزم السير ، متكاتفة متساندة ، الى مستقبل أكثر كرامة ، والى حياة أوفر رخاء ؟

الحركة الجماعية – عند القبائل البدوية – وعند الأقوام البدائية ، وعند الشعوب المتحضرة على السواء ، نتيجة لعمل فردى ، يبدأ صغيرا ثم يكبر ويتسع ويثمر . فمن هم الذين حملوا فى صمت وصبر وأناة ، ومهدوا السبيل أمام القبائل والأقوام والشعوب فى افريقية المسلوبة المنهوبة ، لكى تتحفز وتتأهب ثم تولوا قيادها يوم وثبت وثبتها فى طريق العزة والتحرر بعد أن كانوا يواسونها فى المحن والكروب ؟

لم يحدث فى قارة أخرى ما حدث فى افريقية . ولا سبيل الى المقارنة بين تطور قضية الحرية فى القارة السمراء ، وتطورها فى غيرها من القارات . فان وطأة الاستعمار فى افريقية كانت أشد منها فى أنحاء الأرض الأخرى والشعوب الافريقية – اذا استثنينا شمال القارة – كانت فى نظر طغاة الاستعمار وممارسيه ، تعتبر العنصر الأدنى من الجنس البشرى ، بسبب لون بشرتها ، وضعف وسائل الدفاع عن النفس عندها ، واذا كان الاستعمار قد داهمها فى مواطنها ، وطاردها فى أدغالها وسهولها وجبالها ، فقد فعل ذلك فى بادىء الأمر ليس فقط للاستيلاء على خيرات الأرض ، واستثمار ثروتها الطبيعية ، بل

أيضا ، وعلى الخصوص ، لامتلاك الأفراد ، فى وقت كان فيه الانسان يسترق أخاه الانسان ويبيعه فى الأسواق بيع السلع والحيوان .

كان على الأحرار فى افريقية أن يقوموا بدور أكثر صعوبة وأوفر مشقة من دور الأحرار فى بقاع الأرض الأخرى . وقد قاموا به على أحسن وجه ، وذاقوا فى سبيل أداء رسالتهم ، ألوانا لا حصر لها من الكبت والارهاق والعذاب والاضطهاد وتاريخ افريقية من هذا القبيل ، لا يزال فى حاجة الى استقصاء وايضاح وشرح وتشريح ، وشخصية الزعيم الافريقى أيا كان موطنه وأيا كان الشعب الذى ينتمى اليه ، تختلف اختلافا كبيرا عن شخصية الزعيم فى البقاع الأخرى ، أيا كان أيضا موطنه ، وأيا كان الشعب الذى ينتمى اليه .

وتاريخ التطورات الاجتماعية ، والوطنية ، والقومية ، فى مختلف أنحاء افريقية ، هو فى آن واحد تاريخ أقوام وتاريخ أفراد : أقوام عرفت أقصى أنواع الذل والعبودية وأفراد كان لهم من هذه العبودية وذلك الذل نصيبهم . وكان تفكيرهم ــ كأفراد وكزعماء ــ مشبعا برواسب الماضى المرير ، الغارق فى غياهب الأجيال ومتأثرا بما قاسوه هم أو بما قاساه آباؤهم وأجدادهم من آلام نفسية وجسدية بحكم الوضع الذى فرض عليهم فى المجتمع الانسانى ، ولون البشرة الذى وسمتهم به الطبيعة ، والمكان الذى شاءت لهم الأقدار ان يولدوا ويعيشوا فيه ، والنظرية العنصرية التى شملتهم بها أقوام احتكرت لنفسها الجاه والسيطرة والتحكم .

فأمام الكتاب والباحثين مجالات واسعة لا حدود لها ، يجمل بهم أن يخوضوا غمارها بغية استجلاء الغوامض التى تكشف تاريخ افريقية فى مراحله القديمة والحديثة ، واستخلاص الدراسات والعبر من الأحداث التى تخللته وما أحاط بها من ملابسات وتسليط الأضواء على ما ظهر وما خفى من مقدمات البعث الافريقى العجيب .

وعلى حملة الاقلام العرب دون سواهم واجب لا يحق لهم ولا يليق بهم أن يحجموا عن أدائه ، فى هذا الميدان ، فان سبعين مليونا أو أكثر من بنى قومهم ينتمون الى هذه القارة . وقد ساهموا مساهمة فعالة فى معظم مراحل نهضتها المباركة ، وهم اليوم يتحملون نصيبهم من أعباء تنظيم شئونها ، وتوحيد صفوف أبنائها ، وتصفية ما تبقى من آثار الاستعمار فيها .

والكاتب الشاعر عبده بدوى ،واحد من حملة الأقلام العرب القلائل

الذين وطدوا العزم على الاضطلاع بذلك الواجب والانصراف الى معالجة الشئون الافريقية وتعريف القارة الناهضة الى القارىء العربى • فقـد فعل ذلك بالقصيدة والبحث والأوبرا والاذاعة اللاسلكية وهو فى هذا الكتاب الذى يسرنى أن أقدم له بهذه السطور يواصل أداء الرسالة التى أخذها على عاتقه ، فيضع بين يدى القارىء سلسلة من اللوحات رسـم فيها مجموعة من الشخصيات الافريقية بالشعر المنثور أو النثر الشعرى واختار تلك الشخصيات من مختلف البلدان والعصور ، من قديم الزمان الى الآن فجعلها تنطق بلسانه ، وتعبر عن مشاعرها بقلمه وقد جاء كتابه عن « رجال من افريقية » فتحا جديدا فى ميادين الأدب وأضـــاف الى أساليب الكتابة أسـلوبا مبتكرا يخرج بالقـــارىء عن المألوف المطروق ، ويطوف به فى عالم يمتزج فيه الواقع بالخيـــال وأى جو أصـلح من الجو الافريقى للقاء الخيال بالواقع ؟ ••

وقد بسط المؤلف فى مقدمة كتـــابه رأيه فى الدور الذى قام به زعماء النهضة الافريقية ونظريته فى الشخصية الافريقية من الناحيتين المادية والروحية ثم طبق الرأى والنظرية عمليا فى صياغة لوحاته فى هذا القالب الفنى الطريف •

فهذا كتاب يجد فيه القارىء شيئا جديدا • وهو جدير بأن يحتل مكانا خاصا فى المكتبة الافريقية التى تكبر وتتسع مع الأيام •

حبيب جاماتى

مقـــدمة

مما لا شك فيه أن دراسة الشخصية فى هـذا العصر لا تصبح عميقة وجادة الا اذا كانت تحمل صفة الشـعب الذى تنتمى اليه فالشخصية لاتصبح كاملة الا اذا أعطت صورة نفسية للشعب الذى ظهرت منه هذه الشخصية ٠

واذا كان هذا هو المطلوب من الشخصية فى أى مكان ، فان الشخصية بهذا المفهوم لم تتحقق الا فى الشـخصية الافريقية ـ فى هذا العصر ٠

ذلك لأن الزعماء الافريقيين أحسوا أنهم لا شىء بدون أن يحملوا فى أعمارهم افريقية بتاريخها ٠٠ بعذابهـا ٠٠ بسقوطها ٠٠ ثم أخيرا بانتصارها ٠

فاذا أضفنا الى هذا أن الشخصيات الافريقية لم تنفصل عن القاعدة ، وأن النظام الافريقى لا يعرف الطبقـات ٠٠ أدركنا أن هـذه الشخصيات تحمل فى تاريخهـا « الضمير الاجتماعى » فى القـارة ، وان التفكير الفردى يكاد يكون معدوما فى كل شىء يصدر عن الحياة هناك ٠

ولقد وقع هؤلاء الزعماء فى دائرة الاغراء ، فأكثرهم قد عرف العالم الغربى فى بلاده واحتك به، ثم زاد هذا الاحتكاك حين خرجوا من الدائرة الافريقية ، الى الدائرة الأوربية ٠٠ فهناك تسلطت عليهم الحضارة الغربية وعملت على امتصاصهم وتسيانهم ما ضيهم ، ولكنها لم تصل الى ما أرادت من هؤلاء الرجال ٠

ولعل أكبر دليل على هذا أن الزعماء الذين حملوا لواء المقاومة ، والذين وجهوا للاستعمار ضربات سريعة ومذهلة

هم هؤلاء الزعماء الذين عانقوا الحضارة الغربية والذين وقع عليهم تأثيرها كأقوى ما يكون هذا التأثير ٠

والزعماء الافريقيون فيهم نضارة الصباح الجديد وفيهم هذا السخاء الذى يشبه سخاء النور فى بلادهم ، وفيهم هذه الجماعية التى لا يستطيع أن يتصور الانسان واحدا منهم الا والقارة فى جنبه كالقلب ، وفى ضميره كالنور ٠

وقد يبدو سؤال يقول « لماذا اقتصرت على هؤلاء الرجال فى هذا الكتاب ؟ » والجواب : انى وضعت خطه شامله للتعريف برجال القارة سياسيا واجتماعيا وأدبيا وفنيا ، وانه سبق لى أن قدمت فى كتابى « شخصيات افريقية » خمسا وثلاثين شخصية ٠

ثم حين طلبت منى الاذاعة تقريب بعض الشخصيات الافريقية الى المستمع وادخالها الى نفسه عن طريق الدراما ، وجدتنى أقدم هؤلاء الرجال٠
وقد بدأت بليوبولد سيد ارسنغور رئيس جمهورية السنغال الذى بعد أن تعلم فى بلاده ذهب الى فرنسا ، وكان أول افريقى يحصل على « الاجريجاسيون » ومع انه اشتغل بالتدريس فترة فان ولادته السياسية الحقيقية لم تتأكد الا حين ألف هو وزميله لامين جويبى فى عام ١٩٤٥ الكتلة الافريقية التى كانت تعتبر امتدادا للحزب الاشتراكى الفرنسى ، ومع أن فرنسا امتصته فى أول الأمر سياسيا وفنيا ، فانه استطاع أخيرا أن يصل الى نوع من التطبيق الافريقى للاشتراكية العلمية ، وان يلتفت التفاتة كبيرة من خلال مجلته « الوجود الافريقى » ٠٠ الى الثقافة الافريقية ، والى الوصول بالشعر الافريقى الى أن يكون على حد قول جان بول سارتر ـ من أروع الأصوات التى تسمع فى القرن العشرين ٠

وقدمت وليم تبمان رئيس جمهورية ليبيريا كواحد من الذين ذوبوا المتناقضات فى بلده ، وكأحد الذين يكسرون العزلة التى كانت مفروضة عليهم فى الماضى ثم يندمجون فى الدائرة الساخنة التى تعيش فيها افريقية فى هذه الأيام ٠

قدمت نيلسون مانديلا من خلال عذاب المواطنين فى جنوب أفريقية وكيف أنه لم ينهر فى السجن أو يضعف ايمانه بقضية بلاده ٠

كما قدمت كينيث كواندا رئيس وزراء زامبيا كدليل على الاصرار الذى يوصل دائما الى الغاية ٠

من الأدباء والفنانين والمفكرين قدمت القصاص عثمان سمبين من السنغال والمثال ساد من ساحل العاج ، وقدمت الدكتـور وليم دوبوا والدكتور جيمس اجراى كمثالين من المثقفين الذين استوعبوا كل ما قالته الحضارة الحديثة ، ثم جعلوا هذه الحضارة فى خدمة افريقية ، وكمثالين فى الوقت نفسه لاستعصاء بعض المفكرين عن الذوبان فى العالم الجديد بحيث يصبحون نسـخا مكررة يمتلىء به هذا العالم ٠٠ فقد كان فى امكانهما أن يعيشا متصالحين مع العالم الجـديد ، ولكنهما آثرا أن يقولا كلمة جديدة ولقد كانت هذه الكلمة الجديدة من أجل افريقية ٠

وبالاضافة الى هذه الوجوه المألوفة الينا آثرت أن أقدم بعـض الوجوه القديمة مثل الملك نخاو وحميـد المرجبى ، وعمر مكرم ، ورابح فضل الله ٠٠ كدليل على أن التربة الافريقية كانت تبحث فى الماضى عن التلاقى بالقارة ، وكانت تقف فى صلابة بالسيف وبالكلمة فى وجـه الدخلاء على افريقية ، سواء أكان هؤلاء الدخلاء من الأوربيين أم من غير الأوربيين ٠٠ ومهما يكن من شىء فانى اذا كنت بهذا الكتاب وبأشـقائه الستة فى هـذا المجال ٠٠ قد قربت افريقية الى قلبك فانى أكون قد أصبحت قريبا من الهدف الذى حددته من أجـل التعريف بافريقية ، وأكون قد ضممت الى نفسى السعادة وقبلت المستقبل ٠

عبده بدوى

ليوبولد سيد ار سنغور

سـونيا : « أغانى الطيور تظهر مرفرفة فى السماء

الحشائش الخضراء الأنيقة

تدلنا على ابريل

أنا أسمع نسمات الفجر

تحرك الثلج الأبيض على ستائرى

أنا أسمع أغنية الشمس الملحنة

على شراعتى نافذتى » ٠

محمـــد : ما أجمل هذا ؟ شعر ٠ وزوجة جميلة ٠ ونيل فى السنغال

سـونيا : محمد لقد حضرت ... منذ متى قدمت ؟

محمـــد : من الوقت الذى رفرفت فيه الطيور فى السماء ٠

سـونيا : والآن عليك أن تكمل هذه القصيدة ٠ ترى هل تذكرها ؟

محمـــد : ومن منا لا يذكر شعر «سنغور» ٠

سـونيا : هأنا أصغى ٠

محمـــد : « اسمعى الرياح الحارة فى « ابريل » من القارة

اسمعى صوت الزحلقة على الجليد

وأجنحة السنونو التى تهفهف حولنا

وأصوات « اللقالق » البيضاء والسمراء

اسمعى رسالة الخريف من العمر الآخر

ومن القارة الأخرى

اسمعى رسالة افريقية الجديدة »

سـونيا : ما أجمل هذا ؟ يخيل الى أنا لا نعيش فى السنغال وانما فى جمهورية الشعر ..

محمـد : انه رئيس الجمهورية .

سـونيا : بل هو الدليل الحى على أن الشعراء العظام يستطيعون قيادة كل جوانب الحياة ..

ترى ماذا كانت عليه حياته ؟

محمـد : ان حياته تكاد تكون سوية منذ ولادته فى عام ١٩٠٦ حتى فترة ذهابه الى فرنسا للتعليم ..

سـونيا : ان من مميزات حياته أنه أحب فرنسا كأعمق مايكون عليه الحب .

محمـد : ان من يهاجمونه يقولون انه ظل للسياسة الفرنسيه ولكن من يتعمقون حياته يعرفون أنه لم يعشق الا « الفكر انغرنسى » فالفكر الفرنسى هو وطنه الثانى بعد افريقية .

سـونيا : ومن أجل هــذا الفكر التحق بالجيش الفرنسى ليدافع عن الثقافة الفرنسية .

محمـد : ومن أجلها وقع فى الأسر .

سـونيا : لقد حاول الألمان اغراءه ، ولكنه تمرد عليهم ، بل لقد وصل الأمر الى تنظيمه حركة للعصيان بين الأسرى لأنه كان يعتقد أنه اذا خان فرنسا فانه لن يخون الا الثقافة الفرنسية .

محمـد : ولقد رجع بكل هذا الولاء الى السنغال .

سـونيا : صحيح أن حزب الكتلة الافريقيــة كان امتــدادا للحـزب الاشتراكى الفرنسى ولكن هذا التأثير الفرنسى فقد بريقه بعد ذلك فى حزب « الكتلة الديمقراطية السـنغالية » وفى حزب الكتلة التقدمية السنغالية .

محمـد : نعم . فقد أصبحت له « وجهة نظر » افريقية فى كل مجالات الحياة .

سونيا : من الغريب أن هذا يمكن تطبيقه عليه كشاعر •

محمد : وكيف ذلك ؟

سونيا : لقد امتص جميع الاتجاهات الفنية فى فرنسا ، ولكنه لم يجد نفسه فى هذه الاتجاهات ، ومن هنا كانت التفاتته العميقة الى هذا الاتجاه الذى تحدد تحت اسم « الزنجية » •

محمد : لقد وضح جان بول سارتر هذا بقوله : ان الزنجية فى الشعر الافريقى هى حركة عنصرية تناهض العنصرية ، هى لحظة الرفض للضغوط الأوربية على الانسان الافريقى •

سونيا : ان معنى هذا أن جذورها قديمة •

محمد : ان جذورها ترجع الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، أما ثمرتها الحقيقية فكانت بعد الحرب العالمية الثانية •

سونيا : يخيل الى أنها تحددت تماما حينما أخذت فرنسا بسياسة الادماج •

محمد : ولقد كانت السنغال أول بلد نفذت فيه هذه السياسة

سونيا : ومن هنا كانت الصرخة الحقيقية وهى تصعد من قلب « سنغور » وهو يكتب وهو يناقش وهو ينفعل بالاحداث وهو يمتص الحياة والطبيعة من حوله •

محمد : ولقد كان من الملاحظ ان زنجية القصيدة تنصب على المضمون دون الشكل ، وانها كانت تتميز بسخاء العاطفة وتستوحى المادة الخام من الفولكلور الافريقى •

سونيا : وبرغم كل هذا فقد كانت افريقية تبدو فى هذا الشعر « جنة ضائعة » وحلما يجرى التذكر وراءه للنظر فى ملامحه •

محمد : هذا بالاضافة الى أن شعراء هذا الاتجاه قد استطاعوا امتصاص كل أنفاس الطبيعة ومعانقة القوة النامية فى الحياة •

سونيا : ثم انهم استوعبوا الثقافة الفرنسية وعبروا من خلالها بعمق وفهم •

محمد : لقد كان الكثيرون يشكون من تمزق قلب السنغال فى كلمات

فرنسا البـــاردة ولكن سنغور اعتبرها لغة محايدة تعبر عن الانسان في كل مكان ٠

ســونيا : مهما يكن من شيء فقد عبر سيزار عن هذه الزنجية بقوله: «

(ان زنجيتي ليست صخرة بل هي حمم)

حمم أقذفه في وجه الصخب الذي يغلي به النهار

ان زنجيتي ليست شريطا مصورا لمياه ميتة

أمام أعين الدنيا الميتة

انها تتغلغل في أعماق الارض

انها تنساب في جسد السماء الملتهب

كما انها تحتوى الامتدادات المظلمة بالصبر الجاد » ٠

محمـــد : مهما يكن من شيء فان سنغور قد أعطى الاشتراكية تطبيقا افريقيا كما أنه في الوقت نفسه حول الحيـــــاة الى أناشيد قدسية ، وأعلن الميــــلاد العظيم لافريقية الشــاعرة ، وقدم دراسات ممتعة في النقد وعلم الجمال ٠

ســونيا : لقد انتخب في عــام ١٩٦٠ رئيســا لجمهورية السنغال ، وتجددت رياسته في ديسمبر عام ١٩٦٣ ولكنه سيظل أبدا الرئيس الحقيقي لافريقية الشاعرة ٠

محمـــد : بل هو شاعر انسان لا يقف عند حدود افريقية ولعل شعره أعظم انتصار افريقي معاصر للعالم ٠

ســونيا : لكل العالم

محمـــد : والآن هلا اطلعت لهذا الليل فجرا من شعره ٠

ســونيا : ياصديقي في الوجود الافريقي

لقد شعرنا معا بالسعادة

حيث ان افريقية دائما حولنا

فهنا أثاث من غينيا والكونغو

وأقنعة صافية على حوائط بعيدة

وان كانت جد قريبة
وهنا عطور فذة ومتكبرة ·
وهنا وسائد الصمت والاسترخاء
مثل الآبار الهادئة
وهنا الكلمات الخالدة
والأغانى البعيدة المتتابعة
وكانها تمثل برتابتها
جلود أسود من السودان
ثم ان هناك الضوء الأزرق الصديق
وهناك الضوء الأسود
وهناك الضوء الأبيض
وهناك الضوء الأحمر
آه ·· ما أعجب هذا الضوء الأخير
فهو مثل التربة فى افريقية ·

وليم تبمان

أرثر : وليم .. ان السعادة ترفرف على جبينك ..

وليم : ولكن وجهى عاش من غيرها كثيرا ..

أرثر : المهم أن كل شيء فيك الآن ينطق بالسعادة ..

وليم : لقد ولدت عام ١٨٩٥ ودرست القانون ، واشتغلت بالمحاماة . وبالقضاء كما انتخبت لعضوية مجلس الشيوخ ولكنى لا أذكر أنى ابتسمت ابتسامة كاملة فى هذه الفترة ..

أرثر : ولكن الناس يتحدثون عن ابتسامتك فى كل مكان .. بل ان بعضهم يقول انها من أسرارك السياسية .. وانهم لو جردوك منها لتأثرت نتيجة انتخابك لرياسة الجمهورية ..

وليم : لاتنس أنى انتخبت أربع مرات لرياسة جمهورية ليبيريا

أرثر : وأعرف أن نتيجة انتخابك فى عام ١٩٦٠ كانت مائة فى المائة ..

وليم : الحق أن الشعب كرمنى أكثر من مرة ..

أرثر : ذلك لأنك جعلته يستمتع بانسانيته ..

وليم : وأى شيء تكون الحياة اذا لم يستمتع فيها الانسان بانسانيته .. ؟

أرثر : لقد كان أمر التفرقة العنصرية عندنا شيئا غريبا ..

وليم : أنت تعرف أنها كانت « عنصرية سوداء » ..

أرثر : وهذا مايزيد فى غرابتها ..

وليم : انه قد يكون مقبولا أن يتعالى انســـان أبيض على انسان أسود .. أما أن يتعالى الانسان الأسود على أخيه الأسود .. فأمر يدفع الى الغرابة .

ارثر : لقد كنت أنت المثل الطيب الذى ضربته لهؤلاء المهاجرين من أمريكا الى البلاد ..

وليم : لقد كنا جميعا سودا دفعت بنا تجـــارة الرقيق الى أكثر من مكان فى العالم .

ارثر : وفى العالم الكبير عرفنا التشرد والقلق والتمزق ..

وليم : ثم كانت عودتنا الى «افريقية الأم» بعد أن انتزعنا من صدرها وحنانها ومن تلك الرائحة التى لا يشمها الطفل الا على ثدى أمه ..

ارثر : وحين حضرنا الى هنا بفضـــل « جمعيات التعمير » الأمريكية ورفعنا لنا شعارا جديدا ..

وليم : نعم فقد كان هذا الشعار هو «حب الحرية جاء بنا الى هنا» ..

ارثر : ولكنا اصطدمنا بسكان الداخل ..

وليم : اصطدمنا بذكرياتنا .. وبأشقائنا الذين تربوا معنا على صدر افريقية ..

ارثر : ولكننا انتزعنا انتزاعا قاسيا .. ومع أننا تألمنا كثيرا الا أنه من خلال تألمنا عرفنا الكثير من أساليب الحياة وهذا ما لم يتوافر لسكان الداخل ..

وليم : ولكن هل يبرر هذا أن نسلبهم حقوقهم ، أن نقوم بصـــيده كالحيوانات ــ وندفعهم الى الاسبانيين للاستعانة بهم فى الاعمال الشاقة .

ارثر : أنا معك ان الحكومة كانت على علم بهذا ..

وليم : بل كان لها يد فى هذا الى حد أن منزس يانسى نائب رئيس الجمهورية كان على رأس هذا التنظيم والى حـــد أن الأطفال كانوا يرهنون فى مقابل الديون .. لقد رأيت كثيرا من هؤلاء الأطفال فى منزلى ..

ارثـر : أنا معـــك فى أنا تاجرنا فى اخواننا وأننـا مزقنا الوطن الى السود الوافدين والسود المقيمين ٠

وليـم : اننا نمثل واحدا فى المائة من مجموع سكان ليتيريا وقد رأينا أن الوطن لن تقوم له قائمة الا اذا حركه تسعة وتسعون جناحا بالاضافة الى الجناح الذى كان يمثلنا ٠٠

ارثـر : ونالوا حقوقهم لأول مرة فى عهدك ٠٠

وليـم : وعادت البسمات الى الوجوه ٠٠

ارثـر : ولم يعد الأخ يبيع أخاه ٠٠

وليـم : ولم يعد الطفل يرهن فى مقابل دين ٠٠

ارثـر : وأصبح هناك توازن بين القوى القبلية ٠٠

وليـم : لقد قضينا على الاشياء المحسوسة ٠ ولكن بقيت هناك أشياء لم نقض عليها تماما ٠٠

ارثـر : وما هذه الأشياء التى فى النفوس ٠٠ ؟

وليـم : أتشهد من هنا تمثال « ماتيلدا نيوبوريت » ٠٠ ؟

ارثـر : انه تمثال البطلة التى تحمى بلادنا ٠٠

وليـم : وهل كانت هناك بطلة بهذا الاسم ٠٠ ؟

ارثـر : لقد كانت هناك سفينة بهـــذا الاسم السفينة التى حملت الكثيرين من العالم الجديد الى هنا ٠٠

وليـم : ولماذا يصورونها اذن شامخة من خلف مدفع وهى تطارد بعض سكان الداخل ؟ ولماذا ينسجون حولها الأقاصيص التى تدور جميعها حول غلبة الوافدين على المقيمين ٠٠ لماذا ٠٠ ؟

ارثـر : وما الذى تريد عمله ٠٠ ؟

وليـم : ما أقوم به الآن من عملية التقريب المستمر بين السكان بحيث لا تصبح عملية التفرقة الا ذكرى مزعجة ٠٠

ارثـر : ولكنهم يقولون ان بلادنا من أولى البلاد التى نالت الحرية فى افريقية ومع ذلك تعيش فى شـــبه عزلة عن الأحداث وعن التطور الصاخب الذى يسود القارة ٠٠

وليم : ان بلادنا تعتبر القاعدة الصلبة لدول منروفيا وأنا معك فى أن القارة بعد المؤتمر الافريقى بأديس أبابا قد دمغت هذه التكتلات وأصبحت تعمل الآن من أجل وحدة افريقية شاملة وأنه يجب علينا أن نسير فى هذا الطريق فهو طريق الغد٠٠

ارثر : ان معنى هذا كذلك أن القادة الشيوخ لا يتخلفون فى تفكيرهم عن القادة الشبان ٠

وليم : ان القارة تحتاج الى الشيوخ كما تحتاج الى الشبان ٠

ارثر : بل هى فى حاجة كذلك الى تلك التجربة الضخمة التى قمت بها فى بلادك ، وفى حاجة الى أن يحب الافريقيون بعضهم بعضا ومتى أمن الافريقى لأخيه سارت القارة فى طريق الرخاء وطريق المستقبل ٠٠

وليم : لقد هيأت بلادى لهذه التجربة ٠٠

ارثر : وهذا مايجعل شعبك فخورا بك ٠٠ بل ما سيجعل القارة غدا فخورة بك ٠٠

وليم : أرجو أن يمد الله فى أجلى حتى أرى هذا الفجر ٠٠

ارثر : ان الفجر ليس بعيدا كما تظن .. هل تسمع هذه الاصوات ..؟

وليم : انها أصوات طيور البحر ٠٠ تحمل الينا الصفاء والبهجة والأمل ٠٠

ارثر : وتحمل الينا الفجر ٠٠

كينث كواندا

جون : كينيث كواندا .. هل تذكر هذا المكان ؟

كواندا : وهل أستطيع نسيان مسقط رأسى ؟ هل أستطيع نسيان .. لوبوا ؟

جون : لقد عشنا فيها أياما سعيدة ..

كواندا : بل مازلنا نعيش هذه الايام لانها باقية فينا ..

جون : لقد كانت فترة اخضرار الحياة ..

كواندا : انى لا أزال أحس بهذه النضارة كأنى ورقة على شجرة ..

جون : ان هذه الشجرة الآن تعيش بك . فأنت شجرة الحياة فى روديسيا الشمالية .

كواندا : بل ان روديسيا هى الشجرة الحقيقية .. انظر ..

جون : ماذا ؟

كواندا : هذا المكان القريب من نهر الزمبيزى .

جون : انه مكان البيت القديم للأسرة .

كواندا : نعم ففى هذا المكان ولدت عـــام ١٩٢٤ .. وسمعت والدى القسيس وهو يرتل الأناشيد الدينية وجلست تحت «مدرسة الشجرة» التى كنا نتلقى الدروس تحتها .

جون : وفى هذا المكان ضربت كذلك .

كواندا : نعم فلازلت أذكر العلقة الوحيدة التى تلقيتها من والدى .

جون : لقد كاد يقضى عليك فيها .

كواندا : نعم فما زلت أذكر العلقة الوحيدة التى تلقيتها من والدى • بالدهون والزيتون ، ورأيت الحزن فى عينيه وصوته ـ ذهب كل ما كنت أحس به من ألم •

جون : لقد كان له صوت جليل مؤثر •!

كواندا : ما زلت أذكر صوته وهو يقول لى :

صوت : ولدى •• لقد ضربتك لانه لا ينبغى للانسان أن يدخل فى نزاع أو أن يدخل فى مشاجرة مع أخيه الانسان •

كواندا : وحين قلت له لماذا قسوت على قال :

صوت : لأن البشرية جميعا أسرة واحدة ••

جون : انك تتكلم عنه بحنان •

كواندا : لأنه فتح قلبه وبيته لجميع المنكسرين فى الحياة ولانه كان رحمة سوداء مجسدة •

جون : ولأنى أعرف أنك عانيت بعده ••

كواندا : لقد كنت أواصل العمل فى البيت والحديقة الكبيرة وكنت أنقل المياه من مسافة تبعد ميلين ، وأجلس الى الطاحونة لطحن «الدخن» لوجبة العشاء •

جون : لا تنس أنى كنت أساعدك فى تنظيف آنية المطبخ وغسل الملابس وجمع الحطب وفروع الاشجار •

كواندا : لقد ساعدنى كثير من المواطنين على ما وصلت اليه •

جون : فى الواقع لقد كنت تتميز دائما بالصلابة والتحدى لقد كنا نسميك «هتلر» •

كواندا : الصلابة والتحدى « هتلر » • !

جون : نعم •• هل تذكر حينما عينت مدرسا فى موفوبوا وحينما تحديت الحاجز اللونى المفروض هناك •

كواندا : لقد كان يوما عصيبا فقد دخلت من باب الصيدلية الامامى ، فاذا بالفتاة التى تجلس على الآلة الكاتبة تصيح •

الفتاة : أوه •• هذا فظيع • !

كواندا : واذا بالصيدلى يصرخ :

الصيدلى : أيها الأسود ٠٠ لماذا لاتأخذ مكانك عند فتحة الجدار الخلفى ؟

كواندا : ويصيح أوروبيان فى الداخل ٠

صوت : هذا كثير ـ القردة لاتعرف مكانها الطبيعى ٠

صوت : عد الى شجرتك أيها الاسود ٠

كواندا : وتختلط هذه الأصوات وتتداخل وتشتبك وأنا اجد نفسى ملقى بعنف على الرصيف ٠

جون : ان هذا لايبلغ شيئا الى جانب تحديك للأســد ، وهل تذكر هذا ؟

كواندا : وهل أنسى موقفا كهذا ٠٠

جون : ولكن قل لى ، ماذا كان شعورك وأنت تواجه الأسد ؟

كواندا : كان شعور خيبة الأمل ٠

جون : تقول خيبة الامل ؟

كواندا : نعم ٠٠ فقد كنت تحولت تماما الى عالم السياسة وشـــغلت نفسى بقضية وطنى وكنت أخرج فى حملات للتوعية بالقرى المجاورة وفى أثناء عودتى من احدى القرى سمعت صوت أسد ورأيته مقبلا على وحدثتنى نفسى بالفرار وشعرت بخيبة الامل لأنى من لحظة كنت أقول للمواطنين انى سأقودهم الى الحرية وتقدم الأسد أكثر فوجدت نفسى أنزل عن الدراجة وأواجـــه بها الأسد وأنا أضرب الجرس وأضغط على البـــوق واذا به ينصرف ٠

جون : ان سر شخصيتك يكمن فى هذا الحادث ٠

كواندا : كيف ؟

لأنك لاتفر من الحوادث وانما تواجهها بصلابة ٠

كواندا : الى هذا الحد : ؟

جون : بلا شـــك فقد عملت بوعى فى « المؤتمر الوطنى الافريقى » وناديت بشعار « للرجل الواحد صوت واحد » وشعار « حتى

يهتز قدح الشاى من يد روى ولنسكي ، وبتكوين مؤتمر زامبية الوطنى - عام ١٩٥٩ الذى اصبح صاحب الكلمة الأولى فى البلاد ٠

كواندا : والآن ألا يرتجف قلبك ؟

جون : يرتجف قلبى ؟

كواندا : وترتعد مفاصلك ٠ ؟

جون : من أى شىء ؟ ٠

كواندا : منى ٠٠ ألا تعلم أنى من أكلة لحم البشر ٠

جون : وبخاصة لحم الأطفال ٠

كواندا : ترى أين ذهبت هذه الأكاذيب التى أطلقوها على حزبى ؟

جون : لا أكذب عليك فقد كانت مثيرة ٠

كواندا : لقد رأيت بنفسى رجلا يهرب منى ، ثم يتسلق شجرة ورأيت أما تحتضن ابنها فى حركة استشهاد ٠

جون : فلتعذر كل البسطاء فى وطنك فقد أشاع الأجانب فيهم أن أعضاء مؤتمر زامبيا الوطنى من أكلة لحوم البشر ٠

كواندا : وبخاصة لحم الأطفال ٠

جون : لقد ذهب كل هذا وذهب معه اتحاد افريقية الوسطى ، والعذاب الذى كنت تلاقيه فى السجن ٠٠ وبقى لوطنك أن ينظر الى الفجر ٠

كواندا : الفجر ٠ لشد ما يفتننى الفجر المطل على بلادى ٠

جون : لقد كنت دائما مفتونا بالفجر فى مدينة لوبوا وكنا نخشى عليك أن تصبح شاعرا ٠

كواندا : بل ان وطنى فى لحظة شعر الآن ٠ جون أتذكر الكلمة التى ختمت بها كتابى « زامبيا فى سبيل التحرر » ؟

جون : نعم فقد كنت تتكلم عن الفجر عن « كواشا » كما يسمى فى لغتنا ٠

كـواندا : هل تذكر هذه الكلمات ؟

جـــون : نعم

كواندا : رددها ٠

جـــون : طالما ٠٠ وقفت بين قومى فى الظلام ونحن نهتف « كواشـــــا »
وهأنذا أرى الظلمة تتبدد وها هو الصبح ليس منا ببعيد .

كـواندا : كواشا

اصـوات : كواشا

كـواندا : لكأن العالم يردد معى هذه الكلمة ٠٠

اصـوات : كواشا ٠٠ كواشا ٠٠

نيلسون مانديلا

بيتى : انظر ياكومالو الى القمر ..

كومالو : تقولين القمر ؟؟

بيتى : نعم فمن شرفتنا هذه تستطيع أن تراه فوق منجم الذهب ..

كومالو : ولكنى لا أراه الا فوق الوجوه المصفرة ..

بيتى : وتستطيع من هذه الناحية أن تلمحه فوق منجم الماس ..

كومالو : الماس .. ! تقصدين دموع الشعب ..

بيتى : انك حزين الليلة ياكومالو ..

كومالو : وهل كنت سعيدا فى يوم من الايام .. ؟

بيتى : أنا معك فى انا لا نعرف السعادة فى « جوهانسبرج » ولكن حزنك العميق له موعد .. انت تعرف هذا الموعد ..

كومالو : تقصدين اليوم الذى اختفى فيه وجهه .. ؟

بيتى : وهل ينسى أحد وجه « نيلسون مانديلا » .. ؟

كومالو : لقد أعاد الى ذكريات قريتى .. وهو يدافع عن نفسه أمام البيض .. لازلت أذكر صوته وهو يقول ..

مانديلا : « من عدة سنين .. حينما كنت ولدا صغيرا .. فى قرية « ترانسكى » كنت أستمع الى أحاديث شيوخ القبيلة وقصصهم عن الايام السعيدة التى مرت بهم .. قبل وصول الرجل الابيض.. ومن هذا اليوم وحب الحرية والعمل على رد كرامة الرجل الأسود .. يجرى فى دمى ..»

بيتى : انك بلا شك سعيد فأنتما من قرية واحدة ..

كومالو : وولدنا فى عام ١٩١٨ وان كان هو ينتمى الى قبيلة «تمبو» ومع أننا تفرقنا الا أنى لازلت أذكر اليوم الذى حضر فيه لأول مرة الى جوهانسبرج لازلت أذكر ذلك ..

(دقات على الباب)

كومالو : من يطرق بابى بهذا العنف .. ؟

مانديلا : افتح ياكومالو ..

كومالو : يا الهى .. صوت من هذا ..

مانديلا : قلت لك افتح ..

كومالو : من .. من .. ؟

مانديلا : صديقك ..

كومالو : نيلسون مانديلا .. يا صـــديقى .. متى قدمت .. ؟ ولماذا حضرت الى جوهانسبرج ؟

مانديلا : لن أقول قبل أن أذوق طعامك ..

كومالو : اذن فلن تقول شيئا ..

مانديلا : وهل وصل بك الحال الى هذا الحد ؟

كومالو : قل حال كل الذين يهاجرون من القرى الى « جوهانسبرج » فالمدينة هنـــا وحش يقتل الأطفال .. ويعتصر الشباب .. وينفى الشيوخ ..

مانديلا : المدينة تقتل الجميع .. ما أقسى هذا .. والآن هل يتوافر الماء لديك .. ؟

كومالو : أما الماء .. فعندى منه ثروة كبيرة ..

مانديلا : اذن فأحضر لى كوبا من هذه الثروة ..

كومالو : تفضل ..

مانديلا : شكرا ..

كومالو : والآن لماذا قدمت ·· وقد وصلتنى أنبــاء بأنك فى السنة الثالثة بكلية « فورت هار » الجامعية ؟

مانديلا : لقد كنت ·· ولكنى فصلت لأنى دافعت عن حقوق الطلاب ··

كومالو : وما مشروعاتك للمستقبل ·· ؟

مانديلا : سأدرس هنا الحقوق ·· لأشتغل بعــد ذلك محاميا ·· ثم زعيما للشعب ··

كومالو : لعلك الآن الزعيم الوحيد الجائع فى العالم كله ··

مانديلا : وأى شيء فى هذا اذا كنت أمثل شعبا جائعا ؟

كومالو : ومضطهدا ·· وممزقا وحزينا ··

مانديلا : والآن أحضر لى شيئا من الثروة ··

كومالو : عن أية ثروة تتكلم ·· ؟

مانديلا : عن الماء يا صديقى ·· فهو ثروتنا الوحيدة ··

(ضــحك)

كومالو : هذا هو لقائى الأول به ··

بيتى : ولكنه لقاء حزين ··

كومالو : المهم انى رأيته بعد ذلك محاميا ·· ومسهما فى تكوين رابطة « شباب المؤتمر الافريقى الوطنى » ثم رئيسا لها · ·ثم وجه الثورة الحقيقى للبلاد ··

بيتى : لقد نجح فى خلق شعور التحدى ضد البيض ··

كومالو : وكان هذا شيئا جديدا لدى المواطن الأسود فمن هذه اللحظة أحس بأنه خالق نفسه وأن عليه مسئولية الحرية ·· وأن عليه ألا يتوقف حتى ولو كان الطريق مظلما أمامه ··

بيتى : لقد وصل بنا مرحلة التوتر ··

كومالو : والقلق والاحتجاج

بيتى : والمسئولية ··

كومالو : ولكن عام ١٩٦٣ يراه سجينا خلف القضبان ..

بيتى : ولكنه فى قلب الشعب وهو يتحرك .

كومالو : وسيبقى خمسة عوام أخرى .

بيتى : ولكنه يسجن البيض كل يوم .

كومالو : أنا أعرف أنه قتل النوم فى عيونهم ، وأنه حين يأتى المساء يترك سجنه ويجول فى المدينة وان كل أبيض يحس بقدومه، فيحكم الرتاج ، ويقرب كلب الحراسة ، ويقلقه المسدس الموضوع تحت الوسادة .. أنا أعرف هذا ولكننى أريد رؤية وجهه .

بيتى : لا تعذب نفسك فأنا أراه الآن .

كومالو : ترين « مانديلا » ؟

بيتى : نعم ..

كومالو : انك تعذبيننى بهذا الحديث ..

بيتى : بل أنا أراه فى الغيظ الجاسم على جوهانسبرج ، فى الضواحى التى يتكدس فيها السود ، فى الكلمات الجافة والنظرات المشتعلة ..

كومالو : بيتى يا حبيبتى انى أراه الآن معك ..

بيتى : وأراه الآن يحتل المدينة ويغوص فى أعماق البيض ، ويعذبهم ..

كومالو : بيتى .. ان القمر يضىء روحك الآن .. لكأنى أراك لأول مرة ..

بيتى : هاهو يفرش بيتنا باللؤلؤ .. هنا هو يتسلق الجدران على سلم من الفل ومن أحلام الطيور ..

كومالو : فلتغن يابيتى للقمر ..

بيتى : سأغنى .. سأغنى دائما حتى لا يسقط القمر ..

عثمان سمبين

احمـدو : والآن ها نحن فى بيته ٠

فاطمـة : ان بيت « عثمان سمبين » هو كل السنغال ٠

احمـدو : بلا شك فهو أحد المعالم الأدبية لافى السنغال فقط ولكن فى كل فى افريقية ٠

فاطمـة : ان ما يحمد له انه كان من أوائل المتمردين على الأساليب الغربية ، وعلى منهج التصوير الخارجى فى العمل الأدبى ٠

احمـدو : وعلى الطريقة الوصفية التى كانت متبعة فى القصص الافريقى، لقد كانت افريقية تظهر فى هذه الأعمال كغابات ومراع ، وأنهار وعادات غريبة ٠

احمـدو : ان هذا قد يقبل من أديب كهمنجواى حين كتب عن افريقية ولكنه لن يقبل من أديب افريقى يحس مأساة الانسان فى كل ما ترى عيناه ٠

فاطمـة : على كل فعثمان سمبين قد أحس مأساة الانسان وعبر عنها بصدق مما يمكن القول معه بأنه عبر عن روح العصر وأحس بالوعى الثورى فى كل افريقية ٠

احمـدو : لقد جعل الافريقى فى أعماله يقول كلمة « لا » ٠

فاطمـة : ويحتج ٠

احمـدو : ويدين عصره ٠

فاطمـة : ويصرخ وهو فى البلاد البعيدة ٠

احمـدو : وفى الداخل حين يحس بضغط الاستعمار، والرجعية والتقاليد العفنة ٠

فاطمـة : ويضغط المدينة وهى تلتهم النضارة فى الحقول ·

أحمـدو : وفى قلب الانسان ·

فاطمـة : كما أنا نحس فى أعماله التنـاقض بين الحضـارة الغـربية والحضارة الشرقية ·

أحمـدو : والآن هل تشمين شيئا ·

فاطمـة : رائحة تبغ ·

أحمـدو : انه اذن قادم فهم يقولون : ان غليونه شىء مكمل له فهو لايرى الا به ·

فاطمـة : انهم يقولون انه انتقل من احدى الطوائف الاسلامية الى طائفة أخرى لا تحرم التدخين ·

أحمـدو : والآن ها هو ·

(فتح باب ثم خطوات)

عثمـان : مرحبا بكما فى بيتى ·

فاطمـة : لقد قرأنا لك ، وحين قدمنا الى « داكار » صممنا على رؤيتك ·

أحمـدو : ثم اننا من مسقط رأسك ·

فاطمـة : من اقليم « كاسامانى » ·

عثمـان : اقليم « كاسامانسى » لشد ما أحب كل شىء فيه بل انى لا أكاد أتذكره حتى ألقانى بجانب أبى طفلا يحمل السمك فى أول الامر ، ثم صبيا يلقى بالشباك · ما اجمل حياة الصيادين ، ترى هل كل شىء ما زال هناك ؟

فاطمـة : ان الناس هناك لا ينسون أحدا ·

أحمـدو : ثم انهم يتفاءلون باسمك حين يلقون الشباك ·

عثمـان : لقد كنت أود قضاء حياتى بينهم ، ولكن الحياة اختطفتنى الى داكار حيث اشتغلت « عامل بناء » ثم عاملا ميكانيكيا ·

فاطمـة : لا بد أن الحياة كانت شاقة بالنسبة لك ·

عثمـان : الى حد أنى تركت بلادى وعملت بالجيش الفرنسى وعرضت عمرى للرصاص فى ايطاليا وفى ألمانيا ٠

أحمـدو : ولكنك أفدت الحركة العمالية حين عملت فى ميناء مرسـيليا لمدة عشر سنوات ٠

عثمـان : نعم ٠ فقد كنت أول افريقى عمل على تأسيس اتحاد تعـاونى لعمال الموانى من أجل الحصول على حقوقهم وقد أعاننى هذا على التجوال فى أوربا شمالا حتى « اسكندنافيا » وجنوبا حتى حوض البحر الابيض المتوسط ٠

فاطمـة : المهم انك جلت فى بلاد افريقية كثيرة ٠

أحمـدو : وقدمت لنا أعمالا عظيمة ٠ وبالمناسبة لماذا أقدمت على اخراج فيلم تسجيلى بعنوان « صنغاى » ؟

عثمـان : لأنى درست الاخراج لمدة عام فى باريس ولأنى أردت أن أقول للعـالم انه قد قامت عنـدنا حضارة ومن هنـا كان فيلم « صنغاى » ٠

فاطمـة : يقولون ان أبطال أول أعمالك الأدبية يسيطر عليها الطمـع والخوف والتوتر ٠

عثمـان : نعم فهم الأبطال الحقيقيون فى هذا العمل ٠

أحمـدو : والآن ماذا كنت تقصد بعملك العظيم « عامل الميناء الأسود » الذى صدر فى عام ١٩٦٠ ؟

عثمـان : لقد صورت فيه البطل « دياوفاو » عاملا افريقيا يزرع القلق فى نفوس عمال ميناء مرسيليا الذين كانوا يعانون من كل شىء فى حياتهم وكيف دفعت البطالة والتمزق « دياوفاو » الى أن يؤلف كتابا وكيف صورت له الآمال هو وخطيبته أن هذا الكتاب سيوفر لهما العش السعيد و ٠٠٠

فاطمـة : هل تسمح لى بأن أكمل ؟

عثمـان : لا بأس ٠

ورأت باريس البطل وهو يقابل بنظرات الغضب من الناشرين الى أن تعرف بفتاة فرنسية وحين عرض عليها قصته طلبت منه أن تتسلمها وستبحث بنفسها عن ناشر ، وماذا حدث بعد ذلك ؟

عثمـان : لقد عاد الى موطن عمله ، وفى يوم من الأيام أطلعه صديق على كتاب عليـه اسم الفرنسـية التى أخذت منـه الكتاب وحين تصفحه وجده كتابه ٠

فاطمـة : وكان أن ذهب الى هناك ، وبينما هو يعاتبهـا بعنف ،قتلت خطأ ، وكان أن حكم عليه بالأشـغال الشاقة المـؤبدة وحين سمعت أمه ذلك ماتت ، وفى الوقت نفسه أخذت الصـحف والمجلات تنهشه على صفحاتها ٠

أحمـدو : على كل أنا أعتبر أن قصتك « يا أرضى يا شعبى العظيم » التى صدرت فى عام ١٩٥٧ تعتبر من أعظم أعمالك ٠

عثمـان : لاتنس أنى كتبت فى عام ١٩٦٠ قصة الكفاح فى سبيل الله وفيها تعرضت للتجمعات العمالية ومقاومة الحكومة لمطـالب العمال بالعنف متوخيا فى ذلك الدفع الثورى فى البلاد ٠

أحمـدو : وفى يدى لك الآن مجلد يحتـوى على قصـص وشعر ٠ ولكن قصة « يا أرضى يا شعبى العظيم » تتفوق الأحداث والطريقة الفنية ــ بالاضافة الى الحيوية ــ على كل ما كتبت ٠

عثمـان : على كل لقد جعلت مجالها فترة التفتح التى ظهرت فى الحياة الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية ٠ وحين يعود البطل السنغالى أوريمارفاى الى مسقط رأسه ويرغب فى تغيير حياة الفلاحين يصطدم بالاستعمار وبعالم الخرافات السـائد بين مواطنيه ٠

فاطمـة : لقد أعجبنى موقف « أوريمار فاى » وهو يعمل على خلق مزرعة حديثة متعاونة لتقف أمام الاحتكارات الأجنبية ومع أن قوى الاحتكار تتمكن من قتل البطل الا أن دماءه تظل تتدفق على الأرض وفى نفوس الناس ٠

أحمـدو : مهما يكن من شىء فانك لم تنعزل عن بلادك وعن الأفكار الذكية التى تشغل العصر ٠

فاطمـة : وعن رغبتك الملحة فى احداث تغيير فى افريقية ٠

أحمـدو : ولقد حدث هذا التغيير وأشهد أن بين ملامحه ما قد تكهنت به ٠

عثمـان : فقـد قلت كلمتى ولن أنظر فى الخلف الى ما أحـدثته لأنى مشغول بكلمة جديدة فعيناى دائما على مستقبل افريقية ·

فاطمـة : والآن ماذا تطلب وقد حققت مجدك الأدبى ؟

عثمـان : عودة الى «كاساماسى» أهز فيها أيدى الفلاحين والصيادين · عودة أطرح فيها الشباك وأغنى للسمك ·

فاطمـة : ولكنك تطرح الشبك الآن على اللؤلؤ ·

فاطمـة : وتغنى للناس ·

أحمدو : لكل الناس ·

المثال سادو

سـادو : أسرع يا ولدى فالشمس قد ملأت الكوخ ٠

سانديانا : لقد ضقت بهذا الكوخ المستدير الشكل ٠

سـادو : تضيق بالبيت الذى فتحت عينيك على نوره ٠

سانديانا : وبهذه الأكواخ التى تغطيه من القش ٠

سـادو : هكذا بيوت الافريقيين يا ولدى فى ساحل العاج ٠

سانديانا : ولكنى أريد لك قصرا ضخما مبنيا بالحجارة ٠

سـادو : ولكن الحجارة ستمنع عنى النسمات التى تحمل لى على أطرافها دائما شيئا من نضارة الوطن ، وفرحة الحياة ٠

سانديانا : وأريد لك متحفا يضم تماثيلك ٠٠

سـادو : ولكن البلاد كلها متحفى ٠ ثم انى لا أريد لتماثيلى نوعا من السجن ، انى أحس الغيرة فى بعض الأحيان من هذه التماثيل ٠

سـادو : هيا هيا يا ولدى الى الغابة ، فأنت التمثال الحقيقى الذى سيخلدنى أبدا ٠٠

سانديانا : ولكنك مجهد اليوم ، فهل تسمح لى بالذهاب منفردا ؟

سـادو : ولكن تعودت أن أملأ نفسى يوميا بخضرة الغابة ، وفرحة السماء وبشاشة أبناء قبيلة « الموسى » ٠

سانديانا : انى أرجو فقط ٠

سادو : يا ولدى ان ما يحرك التمثال فى يدى هو احساسى بالحياة

من حولى ، وقد تعودت على لقائى بالطبيعة والناس فى صباح كل يوم ..

ساندياتا : وما الذى يحدث اذا أعطيت نفسك الراحة يوما ؟

سادو : لو حدث هذا لانطفأ السحر من أصابعى ، صحيح أنى سأصنع تمثالا ، ولكنى لن أتوجه بهالة النور التى تشع من انعكاس الروح وانفعالاتها ..

ساندياتا : ان تناغم الحركة ، وانسياب التفاصيل فى التمثال هو مايميز فنك ، هو ما يجعل الجميع يفخرون بك .

سادو : لا تفخر بأبيك الى هذا الحد .

ساندياتا : انهم يقولون عن « ساحل العاج » ان رائحة الربيع الدائم هو ما تميزه عن بلدان افريقية ، ولم يتحقق لى هذا الا عندما أدركت تلك النضارة التى توجد فى تماثيلك .

سادو : والآن .. كيف أصنع هذه التماثيل .. ونحن نضيع الوقت فى الحديث .

ساندياتا : وماذا تريد يا أبى ؟

سادو : أن تحضر السلة .

ساندياتا : ها هى السلة .

سادو : وعلبة الكبريت وبعض قطع الخشب وبعض الطعام .

ساندياتا : كل ذلك فى السلة .

سادو : أنت متأكد من وجودها جميعا ؟

ساندياتا : وما يضيرنا اذا فقدنا بعضها ؟

سادو : وكيف نحصل على « شمع النحل » بدون هذه الأشياء ؟

ساندياتا : لقد تيقنت من وجود علبة الكبريت وقطع الخشب .

سادو : والطعام ؟

ساندياتا : عليك أن تخلقه خلقا .

سادو : وكيف أخلقه خلقا ؟

ساندیانا : لا مناص من ذلك فالبيت خال من الطعام .

ســادو : وماذا نفعل ؟

ساندیانا : نصنع تمثالا لغزال ثم نأكله .

ســادو : يا ولدى ..

ساندیانا : أنا لا أخفى عليك أنى جائع .

ســادو : ومن أى شيء أصنع الغزال هنا ؟

ساندیانا : لقد نسيت أنه لابد لنا من الحصول على شمع النحل .

ســادو : والآن هيا بنا .

ساندیانا : هأنذا أتبعك ..

(موسيقى)

ســادو : وها هى الأشجار تدعوك الى تناول ما تريد ..

ساندیانا : ان الطبيعة هنا كريمة الى حد كبير .

ســادو : يكفى أن تمد يدك ، خذ هذه الثمرة من « المانجو » وهذه .

ساندیانا : وأنت لماذا لا تأكل ؟

ســادو : ان الوقت أمامى متسع .

ساندیانا : عن أى شيء تبحث ؟

ســادو : عن الأشجار التى ستعطينا « شمع النحل »

ساندیانا : تقصد أشجار « البباز » ؟

ســادو : نعم .

ساندیانا : هأنذا أرى بعضها .

ســادو : أين ؟

ساندیانا : ها هى الى جانبك تماما .

ســادو : هذا صحيح والآن أنزل السلة .

ساندیانا : هأنذا أفعل ٠

سـادو : أوقد النار فى الحشب -

ساندیانا : ها هى تشتعل ٠

سـادو : والآن قربها من تجاويف كل شجرة ٠٠ ثم ابتعد ٠

ساندیانا : ولماذا أبتعد ؟

سـادو : لأن النحل سيندفع الى الخارج فى قوة ٠

ساندیانا : لن أخاف من النحل ٠

سـادو : أرجو ألا تندم على ثقتك بنفسك ٠

ساندیانا : آه ٠٠ آه ٠٠

سـادو : ماذا حدث ؟

ساندیانا : لقد هجم على النحل ٠

سـادو : هأنتذا ترى عاقبة عدم قبول النصيحة ٠

ساندیانا : ليس الأمر صعبا ٠٠

سـادو : هل ترى شيئا ٠٠

ساندیانا : أرى أقراصا عدة ٠٠ اليك هذه الاقراص ٠٠

سـادو : انها من نوع جيد ٠

ساندیانا : لقد كان القرص كذلك من نوع جيد ٠

سـادو : والآن فلنسرع الى البيت ٠

ساندیانا : وهل البيت بعيد حتى نسرع ؟

سـادو : انى مشتاق الى عملى ٠

ساندیانا : لعلك تقدم بهذا الشمع تلك النماذج التى طلبها منك بعض الرجال البيض ٠٠

سـادو : تقصد النماذج التى تمثلهم مع زوجاتهم ، وحيواناتهم وخدمهم؟

ساندیانا : نعم ٠

سادو : لن أفعل ٠

ساندیانا : ولكنهم عرضوا عليك مبلغا كبيرا من المال ٠ مبلغا نحن فى حاجة اليه ٠

سادو : انى لن أقدم الا وطنى ٠٠

ساندیانا : لقد سمعتهم يقولون انك لا تقدم الا نماذج تمثل الرعاة والصيادين والحيوانات التى تحيط بنا ، وان الرجل فى تماثيلك شامخ أما المرأة فمجهدة تكاد تسقط من الاعياء ٠

سادو : وهل وطنى الا كل هؤلاء يا ولدى ؟

ساندیانا : ولماذا لا تستخدم خامات أخرى غير الشمع كما يقولون ؟

سادو : ان الخامة كثيرا ما تحدد طبيعة التمثال ـ فالفنان فى « بنين » بنيجيريا يستعمل البرونز وفى «بنويه» يستعمل الصفيح وفى الكونغو يستعمل الخشب والعاج والرخام أما وطنى فيقدم لى بسخاء هذه الخامة من شمع العسل ٠ كما أنى أستخدم البلاستيك لأنه يعطينى رعشة الحركة وليونة الخطوط ٠

ساندیانا : انك تمثل اليوم الانتفاضة الجديدة فى القارة ٠

سادو : يكفى فقط أنى أمثل حرية الفنان الجديد ٠

ساندیانا : وماذا كان من شأن الفنان القديم ؟

سادو : لقد كان فى الماضى يخاف الأرواح الشريرة والشياطين ويتحرج من تقديم الملامح الانسانية ، أما الآن فهو يملك الحرية فى خلق ما يريد ٠

ساندیانا : والآن ها هو البيت ٠

سادو : فلتسرع باستعمال الفرن ٠

ساندیانا : انك فى شوق الى الخلق ٠ لا بد أن الله كان فى أعمق أعماق السعادة وهو يخلق الحياة ٠

سادو : بلا شك ٠ والآن أجعل خيط المنفاخ فى يدك والخيط الآخر فى الأصبع الكبير لقدمك اليمنى ، ثم حركه هكذا حتى تشتعل النار ٠

ساندیانا : ها قد بدأت تشتعل ٠

سادو : والآن ماذا ترید من التماثیل یا ولدی ٠

ساندیانا : لا شیء لا أطلب الا ما تملیه علیك حریة الفنان ٠

سادو : والآن الیك هذه النماذج من وطنی ٠

ساندیانا : مرحبا بوطنی یصنع من جدید بید والدی ٠٠٠

سادو : شكرا یا ولدی ٠٠٠

الدكتور وليم دوبوا

ريتشارد : ماريان ·· بول لماذا أنتما حزينان ؟

ماريان : ولماذا لانحزن ؟

بول : قل لى شيئا واحدا يبتسم له فم الزنجى ·· شيئا واحدا يزحزح الدموع التى تملأ العين ·

ريتشارد : أشياء كثيرة لعل من أهمها أننا نعيش ·

ماريان : وهل نحن نعيش حقا ؟

ريتشارد : وماذا نفعل اذن ؟

ماريان : نمثل نوعا من الحياة فرض علينا ·

بول : نمثل العبودية ـ نمثل الاستجابة لآراء البيض ـ نمثل

ماريان : بل نحن نبالغ فى هذه الاستجابة الى حد يدعو الى السخرية ، فربما لايكون مطلوبا منا الانحناء ، ولكننا ننحنى ، وربما لا يكون مطلوبا منا الابتسام ، ولكننا نبتسم بل نبالغ فى كل مايطلب منا ·

ريتشارد : ربما كان هذا صحيحا ، ولكننا نفعل ذلك لنحصل على لقمة العيش ·

ماريان : ولكن ألا تحس بمرارتها كلما دخلت فمك ؟

ريتشارد : وماذا نفعل لنعيش ؟

بول : أن يكون لنا رأى ، أن نعيش مانريده من ألوان الحياة ، أن يكون لنا تنظيم يحكم كل حياتنا ·

ماريان : ان هذا هو مانفتقر اليه ·

بول : لقد اهتديت الى شيء من هذا فى « الجمعية الدولية لرفاهية السود » •

ماريان : تقصد الدعوة الجديدة التى يدعو اليها «ماكوس جارفى» .

بول : نعم فأنا من القائلين بأن الجنس الآسود يجب ألا يتفوق الجنس الأبيض فقط ولكن على جميع البشر •

ريتشارد : ومن أجل هذا أقمتم كنيسة لونتم فيهـــا المسيح والملائكة باللون الأسود •

ماريان : ولونتم الشيطان باللون الأبيض •

ريتشارد : ولكن هذا تفكير فاشى فمن هذا الذى يعطينا الوصـــاية على العالم ؟

بول : أنا أعرف أنك من أنصار « بوكر واشنطن » الذى يدعو الى أن نمد يدنا الى البيض •

ريتشارد : وأى شيء فى هذا ؟

بول : ولكنهم يقطعون فى كل يوم هذه الأيدى فى الحقول والمصانع وفى الطريق العام ، أليس كذلك ياماريان ؟

ماريان : أما أنا فقد جربت طريقـــة ماركوس العنيفة وطريقة بوكـــر المستسلمة ولم أجد فيهما مايرضى نفسى •

بول : وأى شيء يرضيك اذن ؟

ماريان : طريقة الرجل الذى ولد فى ولاية ماشوسست عام ١٨٦٨ •

ريتشارد : كأنك تتكلمين عن لغز ؟

ماريان : والذى تخرج من جامعة هارفارد ، وأصبح أستاذا للغات فى جامعة اتلانتا وهو فى الثانية والعشرين من عمره •

بول : عرفت من تقصدين ؟

ماريان : والذى أعطى أهمية خاصة فى دراساته لافريقية وللزنوج فى أمريكا •

ريتشارد : انك تقصدين « وليم ديبوا » •

بول : وما الذى يفتنك فى دعوته ؟

ماريان : انه يدعو الى المســـاواة بين البشر ، وأن على الزنوج فى أى مكان أن يربطوا قضاياهم بافريقية ، ثم انه يدعو الى « الجامعة الافريقية » عن طريق المؤتمرات ٠

بول : ولكنه لا ينادي بالعـــودة السريعة الى افريقيـــة كما يفعل « ماركوس جارفى » ٠

ماريان : انه لابد للتمهيد لهذا بالعديد من المؤتمرات ٠٠ انى لا أنسى قوله ٠

ديبــوا : ٠٠ لقد حارب الزنوج الألمــان فى عام ١٩١٩ ولكن الحلفاء تنكروا لحقوقهم وقد عقدنا العديد من المؤتمرات فى باريس ولندن ونيويورك ومانشستر ومع ذلك فلا زلت أعتقد أن هذه المؤتمرات هى قرع للطبول حتى تبقى فكرة الجــامعة الافريقية قابلة للضياع » ٠

ماريان : ما رأيكما فى هذه الكلمات ٠

بول : لقد فتحت لها قلبى ولم تعد بى رغبة للسيطرة على الأجناس الأخرى كما كان يدعو « ماركوس جارفى » ٠

ريتشارد : وأنا لا أحب الاستسلام الذى دعانا اليه « بوكر واشنطن » ٠

ماريان : لم يبق اذن الا طريق ديبوا ٠

بول : انه طريق الانسانية ٠

ريتشارد : وطريق السلام ٠

« موســـيقى »

ريتشارد : ماريان ٠٠ بول ٠٠ لماذا أنتما حزينان

ماريان : ولماذا لا نحزن ؟

ريتشارد : ألأنكما تزوجتما ؟

ماريان : لا تمزح يا بول فالموقف صعب ٠

ريتشارد : هذا غريب ، ان حزنكما يذكرنى بهــذا الحزن القديم الذى ناقشناه فى يوم من الأيام فى هذا المكان من ٠٠ من

بول : مما يقرب من عشرين عاماً ٠

ماريان : أتذكر عن أى شيء كنا نتكلم ؟

ريتشارد : كنا نتكلم عن النظريات التى تحكم حياة الزنوج فى أمريكا

بول : والى أى شيء توصلنا ؟

ريتشارد : لقد أخذنا بنظرية « ديبوا » الانسانية وها هو قد تركنا من فترة ليعيش فى غانا ، لقد قرأت أنه يشرف هناك على مشروع « دائرة المعارف الافريقية » ترى ما عمره الآن ؟

ماريان : انه فى شهر سبتمبر عام ١٩٦٣ يكون قد أوفى على الخامسة والتسعين ٠٠

ريتشارد : انه عمر مديد وخصب بلا شك ٠

ماريان : ولكنه لن يضيف اليه قطرة جديدة من الزمن ٠

ريتشارد : تعنين أنه ٠٠

بول : توفى ٠

ماريان : عن المجد ٠٠ والدراسات الجادة ٠٠ وتأكيد الدور الحضارى لافريقية ٠

ريتشارد : وحب الانسان لأخيه الانسان ٠

ماريان : لقد عاش يحلم بافريقية المتحررة ويفكر لها ٠

بول : وها هو يموت كما عاش فى هذا الحلم ٠

ريتشارد : نعم فقد تحررت افريقية وأصبح الزنوج فى كل مكان يحصلون على مكاسب جديدة ٠

ماريان : وأصبحت الجامعة الافريقية بعـــد مؤتمر القمة بأديس أبابا شيئا لا يصعب تحقيقه ٠

ريتشارد : والآن ألا ترون أنه يجب أن نبتسم لهذا الرجل بدلا من البكاء عليه ٠

ماريان : ولكنه الفراق يا ريتشارد ٠

ريتشارد : بل قولى انه الخلود ٠

ماريان : نعم فهو رجل حقق الغاية من وجوده ومن هنا يجب أن نبكى ونبتسم له فى آن واحد ٠

بول : نعم فديبوا لم تكن حياته الا دمعة أعقبتها بسمة ٠٠

الدكتور جيمس اجراى

هورن : جيمس .. أين أنت ؟

جيمس : ...

هورن : لماذا لا ترد على ..

جيمس : ربما لأنى حزين .

هورن : وهل يمنعك الحزن من أن تكلم الناس .

جيمس : ربما . فالحزن يخرس الالسن أحيانا .

هورن : ولكن لماذا أنت حزين . ؟

جيمس : ألا تعرف سبب حزنى .

هورن : ان ما أعرفه لايسبب لك الحزن . وانما يسبب السعادة .

جيمس : تقول للذى يتحطم قلبه انه سعيد .

هورن : تقصد أنك ستترك قلبك عند « نياندى » أجمل فتاة فى قبيلة « الفانتى » بساحل الذهب .

جيمس : ولكن « نياندى » لم تعد عندى الفتاة التى أحبها .

هورن : وماذا تكون اذن . ؟

جيمس : انها كل القبيلة .

هورن : وما الذى يشغلك عن القبيلة

جيمس : كل انسان فيها . كل أغنية . كل رقصة . كل ذرة فى أرضها .

هورن : لقد أصبحت تتكلم مثل والدك .. الذى أصبح لايكف عن تذكيرنا بأنه اول من توحدت القبيلة على يديه

جيمس : لقد التحمت هنا بالاشجار والمياه • والأرض ، حتى لقد أصبحت أعتقد انى سأتفجر بالدم حين أتركها الى أرض أخرى فهى امتداد لجسمى • بل هى جسمى •

هورن : فلتنس كل شىء ••

جيمس : ما الذى أنساه هنا •• ؟

هورن : كل شىء هنا ، فسنترك هنا الجدب ، والجهل لنتقابل فى أمريكا مع العلم والثراء • و ••

جيمس : وماذا •• ؟

هورن : الفتيات •

جيمس : ولكن كيف أنسى هنا انى كنت « الطفل المبارك » •

هورن : أعرف أنهم أخذوك من أمك وعمرك ثمانية أيام لتبارك جيش القبيلة وأعرف أنك عشت هنا تلميذا ومدرسا • وناظرا أعرف هذا وأعرف أن عمرك ثلاثة وعشرين عاما • ولكن لتستفيدمن العالم الجديد لابد أن ننسى العالم القديم •

جيمس : ان صوتك هذا يمزقنى • فلتكف •

هورن : أغضبت منى •

جيمس : لم يصبح عندى مكان للغضب • بل عندى مكان لأن أقبلك • فقد حان الرحيل • هاهم ينادون على

موسيقى

جيمس : فى أى يوم نحن ياروز هدش •

روز : نحن فى ٣٠ من يوليو عام ١٩٢٧ •

جيمس : واين ولدنا الصغير اوريسون •

روز : فى الحجرة المقابلة يذاكر دروسه •

جيمس : حبيبتى روز •

روز : هل تشكو من شىء ياجيمس •

جيمس : لاشىء الا أنى كنت أحب أن أكون فى هذا اليوم فى وطنى •

روز : ولكن مستقبلك هنا ياجيمس ٠

جيمس : أى مستقبل بقى لى ٠ لقد قضيت عشرين عاما بعـد أن تركت بلادى ثم عدت اليها ٠

روز : وتوليت شئون جامعة « اخيموتا » فى غانا وحققت طريقتك فى التربية ٠

جيمس : نعم ٠ فقد أعدت للصناعة اليدوية قيمتها فى التعليم ، ولكنى وجدت معارضة لهذا الاتجـاه فى كل مكان ٠ أتذكرين ما قاله عنى الدكتور « ديبوا » ٠

روز : لقد ذكر أن الاهتمام يجب أن ينصرف الى شكسبير وعلم النفس لا الى هذه المهارات اليدوية التى لن تزيد الشعب الا جهلا ٠

جيمس : ولكنى سعيد بتأكيد هذا الدور فى بلادى ٠٠ وأنا سعيد هنـا فنيويورك لاتبخل علينا بشىء ٠

ولكن أليس من الغريب أن السود هنا يتعصبون ضدى ، لأنى من افريقية ٠

روز : اغفر لى ياجيمس ٠

جيمس : ولكنهم حالوا بينى وبين الوصول الى عمادة كلية ليفنجســتون مرتين ٠

روز : أعرف هذا ٠ وأعرف أنك تقول دائما ، لقد تلقيت الضرب من الجانبين ٠

جيمس : نعم فقد تلقيت هنا الضربات من البيض ومن السود معا ٠

روز : فلتغفر لهم ٠

جيمس : لقد غفرت لهم من زمن بعيد ٠

روز : لقد قلت كلمتك فى « التربية » فى افريقية ووقفت مع الرجل الأسود فى كل مكان ، ووصلت الى اقصى درجات المعركة ، ماذا ينقصك ٠

جيمس : ينقصنى الشىء الذى يأتى بعد اكمال ٠

روز : وما هذا الشىء ٠

جيمس : انه ٠ انه الموت ٠

الملك نخاو

حابى : اعمل مجدافك ياامينى ٠٠ شد عليه بقوة ٠

امينى : هأنذا أفعل ياحابى ٠

حابى : وهاهى أخيرا « صا الحجر » ٠

امينى : صا الحجر ٠٠ أين صا الحجر ٠٠ ؟

حابى : ولكنك تبكى ٠

امينى : نعم ٠

حابى : وماذا أعمل الآن ، هل أحرك المجداف فى البحر أو فى دموعك ٠

امينى : فيما يصل بنا الى الشاطىء فى سرعة .

حابى : وها هو الشاطىء قد لاح تماما ٠

امينى : أين هو ؟

حابى : جفف دموعك ياأخى أولا ٠

امينى : لقد كتمتها ثلاثة أعوام منذ غادرنا قاعدة الاسطول فى البحر الاحمر أما الآن فكل شىء يزلزل أعماقى ٠

حابى : كل شىء ٠٠ أم عروسك التى لم تتمتع بها أكثر من شهر ؟

امينى : أنت تعرف أن الملك « نخاو » حينما دعانا الى الدوران حول افريقية لم نملك أن تستجيب له ..

حابى : ان صوته مازال يتردد فى أذنى وهو يقول

صوت : ايها البحارة المصريون ٠٠ أيها الفينيقيون الذين يسهمون معنا بخبراتهم لقد عدلت عن حفر قناة سيزوستريس ٠٠ حينما ذكر

الكهنة أنها ستحمل الأجانب الى البلاد ولكنى سأوجهكم لمعرفة الطرق التجارية ولن أقنع الا بدورانكم حول افريقية لقد وصلت سفن الى الشرق الافريقى اما سفنى فيجب أن تدور حول افريقية •

أمينى : لقد حققنا أمنيته •

حابى : وبقى علينا أن نشاهد الفرح فى وجهه •

أمينى : ولكن الناس فى حداد •

حابى : وها هو ابنه ابسماتيك الثانى •

أمينى : ان عليه شارة الملك •

حابى : لقد كنت أود تقبيل الضياء على جبينه •

أمينى : وها هى « نفرو » •• ها هى زوجتى •

حابى : هنيئا لك يامينى فستجد القلب الذى ستحدثه عن الرحلة أما أنا فقد مات القلب الذى سيصغى الى •

أمينى : حابى •• أخى •

حابى : لاتشغل نفسك بى ، تقدم الى زوجتك ، هاهى تشق الطريق اليك •

نفرو : أمينى زوجى •

أمينى : نفرو حبيبتى •

(موسيقى)

نفرو : والآن هل أفتح لك هذه النافذة •

أمينى : اذا أحببت •

نفرو : ان القمر سيطل منها •

أمينى : يكفينى وجهك •

نفرو : وستحمل لك أحلام الطيور •

أمينى : أنت حلمى •

نفرو : وشفافية النيل ٠

أمينى : انى أرى من خلالك العالم ٠

نفرو : والآن طف بى حول افريقية

أمينى : ليس قبل أن آخذ يديك فى يدى

نفرو : هاهما

أمينى : وأن تضيئى لى الطريق بنجمتين

نفرو : أية نجمتين ؟

أمينى : بعينيك ٠٠ نعم ٠٠ هكذا ٠٠

نفرو : انك

أمينى : لا تتحدثى ٠٠ دعينى أتذكر ٠٠

نفرو : تذكر كما تحب ٠

أمينى : لقد تركنا قاعدة الاسطول فى البحر الاحمر الى الجنوب وكانت الشمس على يسارنا ومع أن كل سـفينة كان لها خمسون مجدافا الا أنه كان يخيل الينا أنها تحمل خمسين جناحا

نفرو : ان حديثك يسمو الى مرتبة الشعر

أمينى : ثم وجدنا بعض المصاعب ونحن نغادر البحر الاحمر عن طريق باب المندب ثم غادرنا الصومال وظللنا فى المسير حتى وجدنا شيئا غريبا ٠

أمينى : نعم ٠٠ فقد وجدنا الشمس تغرب عن يميننا بعـد أن كانت تغرب عن شمالنا ٠

نفرو : ان معنى هذا انكم تركتم شرق افريقية الى غربها ٠٠

أمينى : وظللنا نسير حتى وصلنا الى المضيق الذى يفصل بين افريقية والغرب

نفرو : وماذا وجدتم هناك ؟

أمينى : وجدنا أسطولا فينيقيا ضخما ٠

نفرو : وهل اصطدمتم به ؟

أمينى : لقد تحرشوا بنا فى أول الأمر ... ولكن حكمة الملك نخاو ..
فى تزويد أسطولنا بالفينيقيين حملت لنا السلامة .

أمينى : ماأعظم هذا الملك ، لقد كان حكيما كذلك حين زودنا بكميات
من البذور

نفرو : وماذا كنتم تفعلون بها ؟

أمينى : كنا نترك السفن .. ثم نبذر الأرض وننتظر حتى تعطينا
غلتها وكنا نصطاد السمك ونتبادل بعض السلع من الوطنيين.

نفرو : وهل اصطدمتم بالأهالى ؟

أمينى : لم يحدث هذا أبدا

نفرو : لقد كانت رحلة موفقة

أمينى : المهم أننا حققنا أمنية الملك « نخاو »

نفرو : وحققت أمنيتى فى أن أراك ثانية

أمينى : وهاأنذا فى بيتنا

نفرو : ويداى فى يديك

أمينى : والقمر يغرق حجرتنا بالنور .

نفرو : والنيل يغنى .. أغنية حب

(صوت يمامة)

أمينى : ها هو صوت يمامة تعشش فى الجدران

نفرو : وها هو صوت ناى من بعيد

أمينى : ان كل هذا يدعونا للقيام برحلة .

نفرو : فى البحر حول افريقية ؟

أمينى : بل .. فى الحب حول الحياة .

نفرو : أمينى زوجى .

أمينى : نفرو حبيبتى ..

حميد المرجبى

حميـــد : صباح الخير يا أمى .

الأم : صباح الخير ياولدى

حميـــد : ان صوتك مجهد .. هل انت مريضة ؟

الأم : ليس الذى بى هو المرض .

حميـــد : وأى شيء يكون ؟

الأم : انه أشياء كثيرة .

حميـــد : ما عهدتك بهذا الحزن ياأمى .

الأم : ليس حزنى كما تتصور ياولدى .

حميـــد : ما دام الامر كذلك . فانى ذاهب للكتاب .

الأم : ولكن .

حميـــد : ولكن ماذا ؟

الأم : أقول انه لا داعى لذهابك اليوم .

حميـــد : لقد كنت تشجعيننى دائما على الذهاب .

الأم : انى أريدك اليوم بجانبى

حميد : لا بأس .. والآن أين الافطار ؟

الأم : تقول الافطار ؟

حميـــد : نعم .

الأم : ان هذا ما جعلنى أمنعك من الذهاب الى « الكتاب » .

حميـــد : الآن فهمت سر حزنك ٠

الأم : فهمت ماذا ؟

حميـــد : فهمت أن بيتنا لم يعد فيه طعام، لم تعد فيه لقمة ، فقد صرفنا كل ما تركه أبى قبل رحيله للتجارة فى الداخل ٠

الأم : لا تبالغ فى الامر ياولدى ٠

حميـــد : مهما يكن من شىء فقد تعلمت القراءة والكتابة ٠ ثم انى حفظت القرآن كله فليحرسك الله ٠

الأم : فليحرسك الله ٠

حميـــد : ثم انى واحد من العرب الذين يفـــدون الى الشرق الافريقى ثم ما يكادون يعملون فى التجارة حتى يصبحوا من الأثرياء ٠

الأم : أما نحن فقد تركنا والدك ولكنه لم يعد ٠

حميـــد : لقد سألت عليه كل التجار الذين يعودون من الداخل ٠ ٠ وكلهم يؤكد أنه حى ٠٠ ولكن لماذا لايعود الى عشه ؟ ٠٠

حميـــد : لعله الطموح ، والرغبة فى جمع المال ٠

الأم : سأظل حزينة حتى أراه ٠

حميـــد : وماذا تفعلين اذا أحضرته اليك ٠

الأم : وماذا تملك من الوسائل لاحضاره يا حميد

حميـــد : أملك حبى لك وله ٠

الأم : وماذا يجدى هذا الحب ٠

حميـــد : يحضر لك الغائب ؟

الأم : تحضره بأية طريقة ؟

حميـــد : بالرحيل ٠

الأم : أخشى أن تعنى أنك ستتركنى ٠

حميـــد : بل أعنيه حقا ٠

الأم : قلبك من حجر مثل والدك تريد أن أفقدك أنت الآخر ٠

حميـــد : بل أريد أن أبعد عنا طائر العذاب الذى يشرب دمنـــا وينقر عيوننا فنحن جميعا نتعذب ٠

الأم : لو كان يتعذب لحضر الينا ٠

حميـــد : لن نحكم على غريب بهذه القسوة ٠

الأم : ولكنك حبة قلبى ونور عينى ٠

حميـــد : وانت العالم الذى أرتاح على صدره ٠

الأم : وهاأنت تريد أن تتركنى ٠

حميـــد : بل أريد لك السعادة ٠٠ ثم ان قلب الابن ليس كقلب الزوج٠

الأم : لقد عرفتك ذكيا وطموحا ولن أقف أمام طموحك ٠

حميـــد : شكرا يا أمى ٠

الأم : ولكن لا تنس أنى كنت أحس هذا فى عينيك وفى أحاديثك عن التجار العرب ٠

حميـــد : وأنا كنت أرى فى عينيك الشوق الى أبى ٠

الأم : والآن ماذا أنت صانع ؟ ٠

حميـــد : لا شىء الا أنى سأقترض مبلغا من تجار زنجبار ٠٠ أعطيك ما يوفر لك حياة كريمة ثم أشترى بالباقى ملحا وأوغل به فى الداخل و ٠٠٠

الأم : وتعود الى أمك ٠

حميـــد : ومعى والدى ٠

الأم : وتسهر على نفسك ٠ ولا تقترب من معصية ٠

حميـــد : وأسهر على نفسى ولا أقترب من معصية ٠

الأم : أقسم على هذا المصحف ٠

حميـــد : بل أقسم على صدرى لأن به قرآنا حيا ٠٠ قرآنا نابضـــا ٠

الأم : اذن ضع يدك على صدرك وأقسم ٠

حميـــد : أقسم أن أعود أليك ومعى والدى ومعى الشوق والحنان ٠

الأم : فليشهد عليك الضحى ، ولتشهد الارض والسماء ٠

حميد : ولتشهد زنجبار ٠

« موسيقى »

الوالد : السلام على السلطان حميد ٠

حميد : لست سلطانا فى حضرتك ٠

الوالد : وماذا تكون اذن ؟

حميد : ولدك ٠٠ ولدك الذى عثر عليك متزوجا من ابنة سلطان «تبوزة» ٠

الوالد : وأنت ولدى الشجاع الذى حارب أعداء هذا السلطان واستولى على ملكهم ٠

حميد : شكرا ياوالدى ٠

الوالد : ان مملكتك ياولدى أصبحت تمتد من الشرق الافريقى الى حوض نهر الكونغو ، وهذا ما يجعلك يقظا وحريصا على هذا الملك ٠

حميد : انى أحمى هذا الملك بذراعى ٠

الوالد : ولكن هناك من تسلل اليه ٠

حميد : تقصد البيض ٠

الوالد : نعم ٠

حميد : لقد قدمت العون الى « سبيك » ولفنجستون وستانلى لأنهم أظهروالى نوايا طيبة وهاهو «سبيك» الآن يحصل على اتفاقيات من الحكام المحليين ٠

حميد : أعرف انه وفد من قبل ملك البلجيك ، وأعرف ان الانجليز من حولى ولكنى متيقظ لكل هذا ٠

الوالد : فليحفظ الله بلادك ياولدى ٠

حميد : والآن هل أستطيع أن أذكر شيئا ٠

الوالد : بلا شك ٠

حميــد : ماذا تقول فى السيدة المقيمة فى رنجبار ، والتى فضلت المقام هناك ٠

الوالد : تقصد أمك التى جعلتها تعيش هناك كملكة ٠

حميــد : ولكنها معزولة عن مملكتها مادمت أنت هنا ٠

الوالد : وماذا أفعل لها وأنا فى هذه السن ٠

حميــد : تعطيها التاج ٠

الوالد : تقصد أن أذهب لأقيم معها ٠ وماذا أفعل بأسرتى هنا ٠

حميــد : تأخذها جميعا معك ٠

الوالد : ولكنها ستغضب منى ٠

حميــد : ما يغضبها هو عدم عودتك ٠

الوالد : ولكنك لن تعود ٠

حميــد : لو كان ماتريده فى هذه الفترة هو الابن لتركت مملكتى حفاظا على عهدى معها ولكنها تريد الآن الزوج ٠٠ تريدك ٠

الوالد : لقد حركت شوقى اليها ٠٠ مما يجعلنى أستأذنك فى الخروج ٠

حميــد : الى أين ؟

الوالد : الى حيث استعد للرحيل ٠٠ حيث الوطن الأول ، والمحيط الذى قدمت منه ، والزوجة التى لاتزال تنتظر ٠

حميــد : والآن لا تنس أن تقول لها انى حفظت نصف عهدى بعودتك اليها وقل لها ٠

الوالد : أقول ماذا ؟

حميــد : قل لها أن تغفر لى مالم أستطع تنفيذه ٠ وقل لها أن تذكرنى

الوالد : سنقول ياولدى أشياء كثيرة ٠٠ سنقول ما فاتنا ٠٠ وفى كل يوم سنرسل الى ملكك الأشواق مع الفجر والشروق ٠٠ ومع طيور المحيط التى تغادر الشاطىء فى الفجر اليك ٠

حميــد : لكأنى أسمع هذه الطيور القادمة أبدا ٠

(موسيقى)

حميـــد : صباح الخير ياأمى ٠٠ صباح الخير يا أبى ٠

الأم : صباح الخير ياولدى ٠

الاب : صباح الخير ياحميد ٠

حميـــد : هأنذا أخيرا بينكما بلا ملك ٠٠ مملكتى التى كانت تمتد من الشرق الى «كاساى» وكاتنجا» ضاعت ٠

الاب : لقد حاربت بضراوة البلجيكيين وحلفاءهم ٠

حميـــد : وماذا كانت النتيجة ؟

الاب : كانت المقاومة التى سيظل ذكراها فى نفوس الافريقيين ٠

حميـــد : وأى فرق بينها وبين « الانسحاب » ٠

الأب : ياولدى هزيمتك انتصار ، هزيمتك جذور ستعلو عليها فى يوم ما « زهرة حمراء » ٠ هى زهرة الحرية ٠

الأم : أما آن لهذه النبرة الحزينة أن تختفى من صوتك ٠

حميـــد : ان مما يزيد فى هذه النبرة أن الاوربيين لن يقفوا عند حدود مملكتى وانما سيتجاوزونها الى افريقية الى كل افريقية ٠

الاب : ولكن افريقية ستكون لأبنائها ٠

حميـــد : نعم ٠ ان افريقية ستكون لأبنائها يوما ما ٠

الأم : وسيذكرك المجاهدون وهم يخلصون بلادهم ٠

حميـــد : ولكن الذئاب تنهش الآن فى القارة ٠٠ وفى قلبى ٠

الأم : ياولدى ٠

حميـــد : اذا كنت يوما ما سأشـعر بالسعادة هنـــا فلأنى وفيت لك بالشطر الثانى من العهد الذى قطعته على نفسى ٠

الأم : ولدى ٠

الاب : ابنى حميد ٠

حميـــد : ابى وامى وأسرتى ٠٠ شكرا لله ٠

الشيخ حسن: لقد شرفت بيتى يا سيد عمر اليوم ·· ولكن ··

السيد عمر: ولكن ماذا ·· ؟

الشيخ حسن منذ متى قدمت الى القاهرة ··

السيد عمر: منذ يومين ··

الشيخ حسن لك يومان فى القاهرة ·· ولا أراك الا اليوم ··

السيد عمر: أنت تعرف اعزازى لأصدقائى ·· ولكنها بعض مشــــاغل الحياة ··

الشيخ حسن لعلك قادم هذه المرة للتعيين فى الأزهر ··

السيد عمر: ·· للتعيين فى الأزهر ··

الشيخ حسن بلا شك ·· فنحن نتخرج من الأزهر لنعلم بالأزهر ·· هذا هو الطريق ·

السيد عمر: لقد اهتديت الى طريقى ·

الشيخ حسن وهل ستدرس للطلاب علوم الدين أو علوم اللغة ·

السيد عمر: لا هذا ولا ذاك ·

الشيخ حسن وماذا اذن ·· ؟

السيد عمر: انى أريد أن أعلم الشعب ·· وأن أتعلم من الشــــعب ·· فالأعمدة التى من حولى فى الازهر تحجب عنى المصريين فى القرى ·· فى المدن ·· فى أى مكان يكونون فيه ·

الشيخ حسن لاتنس أن فى التدريس مرتبا ·· وجراية ·· ومركزا ·· مركزا ، يا سيد عمر ·

السيدعمر: ان صوتى أصبح لايحسن الا مخاطبة الجماهير ٠٠ الا المعرفة الكاملة بالناس ، وقد اهتديت الى هذا بعـــد أن رأيت أن الشعب فى حاجة ٠٠ الى حاكم مصرى ٠٠ الى قلب مصرى ٠٠ الى ذكاء مصرى ٠

الشيخحسن حقا لقد فقدنا هذا بمرور السنين ٠

السيدعمر: بل قل ٠٠ انه موجود ٠٠ ولكن اليأس والخوف والقلق هم الذين يخفونه على الناس ٠

الشيخحسن انك تحرك أشياء قديمة فى نفسى يا سيد عمر ٠٠ ولكن ٠٠

السيدعمر: ولكن ماذا ؟

الشيخحسن لكأنى أرى هذا الشىء الذى تتكلم عنه الآن أمامى جليلا ٠٠ مهابا فى وجهه رسوخ مصر وأملها واصرارها على البقاء ٠

السيدعمر: لقد رأيت هذا الوجه فى البلاد أكثر من مرة ٠٠ رأيته فى الشيخ الدرديرى الذى دافع عن « القانون » فى البلاد ٠٠ حين اراد أحد الأمراء أن يحطم هذا القـــانون ويكسبه الى جانبه ، ضد واحد من أبناء الشعب ٠٠ ولكن العلمـــاء وفى مقدمتهم الشيخ الدرديرى أعلنوا ان على القانون أن ينتصر فى البلاد ٠٠ ونجحوا فى أن يجعلوا كلمته هى العليا على الجميع ٠٠ على الأمير ٠٠ وعلى المواطن البسيط ٠

الشيخحسن منذ عهد بعيد والشعب يحافظ على القانون ويحترمه ٠

السيدعمر: ان مصر كانت دائما فى صف العدالة

الشيخحسن ان هذا يذكرنى بثورة أهل الحسينية ٠٠ أتذكرها ٠٠

السيدعمر: نعم ٠٠ حين أراد الوالى القبض على جزار يسمى ــ ٠٠ أحمد سالم لأنه تأخر فى تسديد أموال الحكومة ٠٠ ولكن الشعب ذكر للوالى أن هناك قانونا مكتسبا فى مصر يؤكد منع القبض على مصرى فى مثل هذه الأحوال ٠٠ وأنت تعرف البقية ٠

الشيخحسن أعرفها فقد أصروا على عزل الحاكم ٠٠ وعزلوه بالفعل ٠٠ لأن من يظلم مرة يظلم دائما ٠

السيدعمر: اعرف هذا ٠٠ واعرف هيبة العلماء ٠

الشيخ حسن ان هذا يذكرني بمراد وابراهيم ٠٠ وكيف انهمـــا حين فرا أمام القائد التركى حسن باشا ٠٠ أسرعا بالذهاب الى الشيخ العروسى ٠٠ و ٠٠٠

السيد عمر: والشيخ الدرديرى ٠ وقد بكيا بالفعل أمامهمـــا ٠٠ طالبين بهذا منهما اقرار الهدوء فى الشعب ٠

الشيخ حسن ان المشايخ لم يكونوا ضد ظلم الأمراء فقط ٠٠ وانما كانوا ضد كل من يظلم الشعب ٠٠ ومن هنا ٠٠ كانت مـــواقفهم دائما مع الشعب ٠

السيد عمر: نعم ٠٠ فنحن لا ننسى أن القائد التركى حسن باشـــا حين دخل البلاد وجد معارضة كبيرة من المشـــايخ ٠٠ وتذلفـــا وانصياعا من الامراء ٠٠ وحين عرض القائد استجلاب جنود أتراك لاقرار الأمن فى مصر ٠٠ وافق الامراء ولكن صـــوت الشيخ العروسى انطلق يقول :

صوت عميق: « والأولى استجلاب خواطر الجند المصريين بالاحسان اليهم ٠٠ والذى تعطونه ٠٠ للأغراب اعطوه لأهل بلدكم » ٠

الشيخ حسن وقد وفق الشـــيخ العروسى فيما طلب ، ونزل الجميع عـــلى رأيه ٠

السيد عمر: ولعلك تذكر تهكم الشيخ العروسى حين القى على المشـــايخ فى الديوان خطابا بالتركية فاذا به يقول :

صوت عميق: اخبرونا عن حاصل هذا الكلام فاننا لا نعرف التركية ٠

الشيخ حسن وحين أخبروه عن حاصل ما قيل أجاب ٠

صوت عميق: ان تركيا بقدومهـــا الى مصر أعـــادت النزاع الى الامراء لأن كل واحد منهم يطمع فى العودة الى الحكم والذى يهمنا هنـــا ليس هذا الأمر أو ذاك وانما الشعب ٠٠ حال الشـــعب ٠٠ الشعب نفسه ٠

السيد عمر: لكأن مصر هى التى كانت تتحدث من شفتيه ٠

الشيخ حسن مادمت قد وصلت الى هذا الحد يا ســـيد عمر ٠٠ ففى نفسى سؤال ولكنى متردد من فترة فى توجيهه اليك ٠

السيد عمر: تكلم فالصراحة من الأشياء التى تعشقها نفسى .

الشيخ حسن ان كثيرا من المشــــايخ هنا فى القاهرة يتحدثون عن علاقاتك بالأميرين مراد وابراهيم بعد أن فرا أمام القـــائد التركى الى الصعيد ٠٠ ترى ما الذى ربط بينك وبينهما ٠٠ ؟

السيد عمر: حب مصر ٠

الشيخ حسن ان ماتعتقده حبا لمصر يعتقده الآخرون خيانة لمصر ٠

السيد عمر: ومن هؤلاء الآخرون ؟ ٠

الشيخ حسن انت لا شك تعرفهم فهم الطائفة الذين يضفون عليك لقب شيخ واذا جاء ذكرك لقبوك بالسيد واذا رضوا بعض الشىء قالوا السيد عمر افندى ٠

السيد عمر: ان هؤلاء لن يمنعونى من أن أقول لك ٠٠ انى قدمت من أجل ابراهيم ومراد ــ ومن أجل عودتهما للحكم والمفاوضة بشأنهما مع المسئولين فى القاهرة ٠

الشيخ حسن من أجل عودتهما ثانية ٠٠ هذا كثير ٠٠ هذا كثير يا ســـــيد عمر ٠

السيد عمر: ولا اكتمك أنى وفقت فى الموضوع الذى قدمت اليه ، وهـــذا هو السر فى انى لم أحضر الى بيتك مباشرة ٠

الشيخ حسن وما رأى الأتراك ومن يعتد بهم من المشايخ ؟

السيد عمر: راضون كل الرضا ٠

الشيخ حسن ان كل شىء فى هذا الزمان قد تغير ، ترى ماذا كانت حجتك لابراهيم ومراد ؟

السيد عمر: انها حجة واضحة وهى أن الحكم القائم لايقل بل ربما زاد فى قسوته عن حكم ابراهيم ومراد ٠

الشيخ حسن وهل يبرر هذا عودتهما الى الحكم ٠٠ ؟

السيد عمر: لقد أعطيانى عهدا باقامة العدل فى البلاد ٠

الشيخ حسن وهل تثق فى « الكلمة » الى هذا الحد ٠٠ ؟

السيد عمر: بلا شك ٠٠ فان نقضوا كلمتهم نقض الشــــعب كلمته ٠٠ فالشعب عندنا ذكى ٠

الشيخ حسن انى أخشى عليك من الشعب نفسه يا عمر ٠٠ فليس معنى نجاحك في عودتهما أنك حققت كسبا سياسيا سريعا ٠٠ ولكن معناه زيادة مسئولياتك أمام الشعب ٠

السيد عمر: انى لن أهرب من هذه المسئولية بل ٠٠ أعتز بها ٠٠ انى أحرك الشعب بهذه المسئولية الجديدة ٠٠ وأدفعه دفعا الى مواجهة مصيره ٠

الشيخ حسن انى أخشى عليك ٠

السيد عمر: انى أحرك الشعب بهذه المسئولية ٠

(موسيقى)

الشيخ حسن سلام الله عليك يا عمر ٠

السيد عمر: وعليك السلام يا شيخ حسن ٠

الشيخ حسن ان زحمة الحياة جعلتنا لانتقابل الا قليلا فى هذه السنوات الأخيرة ولكن لماذا لا تجلس ؟ انى أراك على شيء من القلق ٠

السيد عمر: ان القلق يأكل كل شيء فى هذه البلاد فالشعب قلق على مصيره من الأمراء ٠٠ والأمراء قلقون على مصيرهم من الشعب والعلماء حائرون بين كل من الطائفتين ٠

الشيخ حسن ولكنك قد اخترت طريقك ٠

السيد عمر: أى طريق ٠٠ ؟

الشيخ حسن طريق الأمراء ٠٠ طريق ابراهيم ومراد ٠

السيد عمر: أنت تظلمنى ٠

الشيخ حسن الحقائق تؤكد هذا ٠٠ فما كادا يعودان الى الحكم حتى ولياك منصب « نقيب الأشراف » ٠٠ بعد عودتهما بثلاث سنوات ٠٠ ان عام ١٧٩٣ عليك لالك ٠

السيد عمر: أنت لا تعرف ما صممت عليه ٠

الشيخ حسن لقد حاولت الاصلاح يا سيد عمر ٠٠ حاولت تقريب وجهات النظر ٠٠ ولكن المسألة تحتاج الى استئصال الظلم ٠٠ الى أن يتولى حكم مصر مصريون مصريون عليهم غبار القرى وسهد

المدينة .. مصريون امتلأت عيونهم من مشاهد الفقر والذل ·· مصريون اذا تولوا الحكم ظلت عيونهم مفتوحة على كل شيء فى مصر ·· أما أميراك ياعمر فأعينهما ·· منطفئة ·· أعينهما لا ترى شيئا ·

السيدعمر: لقد أدركت هذا أخيرا ·· أدركته فى ظلم مراد وعنفه ·· وحبه للبطش ·· أدركته فى انهيار ابراهيم وجبنه ·· وفى خوفه كذلك ·

الشيخ حسن لعله الخوف من زوجته كما يقولون ·

السيدعمر: انك تلمح الى الصفعة التى تلقاها منها أمام الكثيرين حين رأته فى موقف مخجل ·

الشيخ حسن ولكن هذه السيدة الرقيقة لا تؤدب يا سيد عمر ·· انه وغيره من الأمراء فى حاجة الى يد كبيرة ضخمة مشققة هى يد الشعب ·

السيدعمر: لقد تأكد لى هذا أخيرا ·· فبعد أن اشتركت فى كتابة الوثيقة السياسية التى تحفظ للشعب حقوقه عام ١٧٩٥ ورأيت أنهما وغيرهما من الأمراء لا يعملون بها ·· حين أدركت هذا رأيت أن لا بد لى من تعديل الخطة ·

الشيخ حسن ما أهم البنود التى تعرضت لها هذه الوثيقة ·

السيدعمر: آه ·· يا شيخ حسن ·· انك تذكرنى بيوم قراءتها بصحن الجامع الازهر وسط الألوف المحتشدة من أبناء الشعب ·

(جماهير)

السيدعمر: لقد كتبنا فيها أن على الأمراء ألا يوقفوا المظالم فقط ·· وانما عليهم أن يتوبوا خالص التوبة عن سابق ظلمهم للشعب .

(هتاف الجماهير)

الشيخ حسن هذا كلام طيب ·

السيدعمر: وان عليهم أن يأخذوا أنفسهم بالعدل وعليهم أن يحترموا القانون والحقوق المكتسبة للشعب ·

(هتاف الجماهير)

الشيخ حسن: وماذا ؟

السيد عمر: وأن يصرفوا الأموال الى مستحقيها ويرفعوا الضرائب المتوالية ويرسلوا بغلة الحرمين اليهما وألا يتركوا مماليكهم وخدمهم للعبث بالشعب وأمواله ٠

(هتاف جماهير)

الشيخ حسن: ثم ماذا يا سيد عمر ٠٠ ؟

السيد عمر: لاشيء الا أنهم نكثوا العهود ٠٠ نكثوا العهد الذى قدمه لى الأميران ابراهيم ومراد حينما كانا طريدين ، ونكثوا العهد الذى قدم بعد ذلك للشعب بمقتضى الوثيقة السياسية التى اشتركت فى كتابتها وبقى أن يحدث شيء ٠

الشيخ حسن: أى شيء ٠٠ ؟

السيد عمر: شيء كبير ٠٠ فالعفن قد ملأ البلاد ولابد من هزة عنيفة يستيقظ عليها الشعب ٠٠ هزة تحركه ثم تجمعه حول موقف ومن خلال عملية التجمع هذه ستولد مصر الجديدة ٠

الشيخ حسن: ما أشوقنى الى مصر ٠٠ الجديدة ٠

السيد عمر: لكأنى أراها بعينى ٠٠

(موسيقى)

حسين : ان الأمور لا بد لها من حل فى هذا البلد ٠

جابر : فى أية جبهة نحارب ٠٠ اننا نحارب فى البلاد الجهل والمرض والفقر والمماليك ٠٠ نعم ٠

حسين : واذا بأعداء آخرين من الخارج يوجهون حقدهم الى الشعب ان مصر الآن محاصرة تماما ٠

جابر : لقد طال الليل فى مصر ٠

حسين : لا تيأس لكل ليل فجر ٠

جـابر : فجر ٠٠ هذا كلام شعراء وأين هو هذا الفجر والفرنسيون نزلوا غرب الاسكندرية ٠٠ استيقظ يا أخى فنحن فى يوليو عام ١٧٩٨ ٠

حسين : أعرف ذلك وأعرف أن قائدهم المسمى بونابرت قد هزم جيش مراد بالقرب من شبراخيت ٠

جـابر : مراد الأحمق الذى كان يردد ٠

صـوت : سأحطم هؤلاء الفرنجة تحت سنابك خيلى » ٠

جـابر : ان الذى تحطم هى مصر ٠

حسين : بل ان مصر باقية لقد مر عليها ما هو أشد من هذا ولكنها كانت دائما تبقى كانت مصر تبقى دائما يا حسين ٠

جـابر : وأين الذين تبقى مصر على أيديهم ٠٠ أين هم ؟ أنا لا أرى أحدا منهم لا أرى الا الفرنسيين يتغلغلون فى قلب مصر ٠٠ فى قلبى ٠

حسين : كأنك نسيت نفسك ياجابر ٠٠ ألست ترانا نتوجه معا الى حيث الزعيم ٠٠ عمر مكرم ٠

جـابر : لقد هزمنا جميعا ٠٠ هزمنا ٠٠ أنا لا أخفى عليك انى كنت ذاهلا وأنا أسير فى ظل « البيرق النبوى » الذى نشره عمر مكرم ، لقد انضم اليه الآلاف وهو يخفق من القلعة الى بولاق ٠٠ آلاف من الناس يتسلحون بالعصى والنبابيت وذكر الله ٠٠ وبحكمة المشايخ الذين كان فى مقدمتهم جميعا « عمر مكرم » ٠

حسين : أكمل يا جابر ٠٠ تكلم حتى تهدأ نفسك ٠٠ تكلم ياولدى ٠

جـابر : لقد وقفنا جميعا دون نظام على الشاطىء الشرقى للنيل بالقرب من جيش ابراهيم وفى مواجهة جيش مراد فى الجانب الغربى ثم ظهر الجيش الفرنسى ومع أن الفرنسيين كانوا مسلحين بأسلحة غريبة علينا الا أن جيش مراد ثبت فى أول الأمر حتى لقد بلغت بأفراده الجرأة ٠٠ أنهم كانوا يلقون بأنفسهم فى فوهات المدافع وعلى أسنة الحراب ، ولكن كل هذا قد انتهى فى ساعات فالجيش قد تمزق ٠٠ ومراد فر الى الجنوب ٠

حسين : كان يقصد الجيزة .

جابر : نعم .. وكم كان قاسيا على الشعب حين وجد ابراهيم .. يهرب من المعركة فى نذالة وهكذا وجد الشعب نفسه بدون جيش .. وبدون قيادة .

حسين : والآن ماذا نفعل .. ؟

جابر : نحن ضائعون فى بلادنا ..

حسين : بل نحن فى فترة تفكير الآن ..

جابر : لقد كان لنا من قبل عدو واحد يتمثل فى المماليك والاتراك ، أما الآن فالفرنسيون أعداؤنا كذلك ..

حسين : انهم يدعون انهم أصدقاء لنا .. وأنهم قدموا لنجدتنا من الظلم ..

جابر : كاذب من يدعى صداقة الشعب وهو يخوض فى دمائه ..

حسين : هذا هو المنشور الذى يدعى فيه صداقتنا فلنر ما فيه ثانية .

صوت : « يا أهل مصر .. قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لاخلص حقوقكم من أيدى الظالمين ، واننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله وان الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب » .

جابر : كذابون منافقون ..

حسين : ان ما يطمئن بعض الشىء أن مشايخ الازهر يدافعون عن البلاد ..

جابر : يدافعون بأى شىء .. ان حرب الكلمة لا يجدى والآن .. انهم سيتفاوضون على التسليم فقد اجتمعوا غداة معركة الأهرام واستقر رأيهم على أن يكتبوا الى بونابرت للاستفهام عن

قصده ، ترى ماذا يقصد بونابرت غير الخراب ، بونابرت انه « بوناتراب » كما يسميه العامة ..

حسين : لقد قيل ان بونابرت سر لمقدمهم ..

جابر : ولما لا يسر .. ؟

حسين : تذكر أن وراء الأكمة ما وراءها وأن كل حرب يعقبها « مؤتمر صلح » وأن جميع المصريين ليسوا أقل منك حماسة لتحرير بلادهم .. ولكن للدول محن تنزل بها كما تنزل بالانسان.. فقط علينا أن ننتظر ..

جابر : ان الانتظار هو الموت ..

حسين : فلننتظر على الاقل المشايخ الذين ذهبوا لمقابلة بونابرت ..

جابر : من ذهب منهم .. ؟

حسين : الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى وكثيرون ..

جابر : ولكن كثيرين لم يذهبوا ..

حسين : الذين تسمع كلمتهم فى البلاد ذهبوا ..

جابر : قد نسيت أن السيد عمر مكرم لم يذهب.. وانا سائران الى منزله لنعرف رأيه فى الحوادث الأخيرة ..
لا أدرى لماذا ارتحت الآن .. فمعنى أنه لم يذهب الى نابليون أن قلب مصر ما زال يخفق .. ان هناك شيئا مستعصيا على فرنسا ..

حسين : تذكر دائما أن مصر تتغلب على محنها وأن الله يحفظها دائما من كل الشرور هيا نذهب اليه .

(موسيقى)

جابر : هذا هو البيت .. فلنسأل هذا الرجل الواقف على بابه ..

جابر : أين السيد عمر مكرم ؟

الرجل لا أخفى عليكما . .انه أعلن انه لن يبقى فى ظل الاحتلال وانه سيهاجر الى سورية .. لقد خرج منذ ساعات قليلة ..

جابر : حتى أنت يا سيد عمر ٠٠ لقد فقدت كل شيء ٠٠ فقدت في هـذه الحـرب ابنى وزوجتى ومنزلى وهأنا أفقـدك الآن ٠٠ أفقدك !!

حسين : تذكر أن مصر باقية لك ٠٠

جابر : لقد كان مصر ٠٠ لقد كان مصر ٠٠

(موسيقى)

المحروقى : مالى أراك صامتا يا سيد عمر ٠٠

الشيخ الجوهرى : انى ألاحظ عليه هـذا الصمت كثيرا منذ قدم الى القاهرة وقد كنت أتحدث فى هذا منذ دقائق مع نصوح باشا ٠٠

نصوح باشا : حقا ان افكارنا تتقابل دائما عند أفكار واحدة فى هذه البلاد -

السيدعمر: انى أفكر فى الحال الذى آلت اليه مصر وأفكر فى جيراننـــا العرب وأفكر فى تأخرنا عن ركب الحضارة ٠٠

المحروقى : ان مصر بخير والحمد لله ٠٠

الشيخ الجوهرى : تقصد جوهر مصر ٠٠

نصوح باشا : وكيف تفسر الضربـات السريعـة التى حلت بمصر على أيدى الفرنسيين وهذا العلم الجديد الذى يطلع علينا به علماء الحملة؛ ما السر فى التقدم العلمى عند الفرنسيين ولماذا لم تكن مثلهم ؟

السيد عمر: لأن بلادك كانت مملوءة بالدخلاء ٠٠ بالمماليك ٠٠ بالعثمانيين ٠٠ ولقد كان كل هؤلاء لا يحسون بالولاء للبلاد ٠٠

المحروقى : وما السر الذى يعوق سورية ٠٠؟

السيد عمر: انه نفس السر الذى يوجد هنـا ٠٠ فأنت تعرف أن الاتراك هناك كذلك لقد عشت فى يافا بعد دخول الفرنسيين فوجدت أن مايعوق مصر عن التقدم هو الشيء الذى يعوق البلاد العربية الأخرى عن التقدم ٠

الشيخ الجوهرى : ولكن ما يؤلم حقا أن الفرنسيين قد استعملوا الوحشية فى كل مكان ذهبوا اليه ٠

نصوح باشا : وماذا كان عدد المصريين فى يافا ٠٠؟

السيد عمر: كان عددهم أربعمائة ٠٠ ولكن نابليون استثناهم من القتل ، ومع أن نابليون قد استدعانى مع هؤلاء ال ٤٠٠ وعاتبنا فى رفق على خروجنا من مصر ، الا أنى كنت أحس بأرواح الضحايا تقف بينى وبينه ٠٠

الشيخ الجوهرى : يقال انه عاملك معاملة حسنة ٠٠

السيد عمر: نعم فقد بش فى وجهى وأمر باعداد سفينة ورأى أن نعود الى دمياط ٠

نصوح باشا : ولماذا لم تحضر الى القاهرة مباشرة ٠٠ ؟

السيد عمر: لقد رأى فى حضورى مباشرة الى القاهرة ما يمكن أن يحرك الجراح القديمة ٠٠

الشيخ الجوهرى : ولكن هذا حدث فعلا فانك ما كدت تعود الى بيتك حتى توافد الناس عليك وأخذت المقاومة تأخذ اشكالا عنيفة ٠٠

السيد المحروقى : ان المواطنين لم يهدءوا فقد وقعت مصادمات فى مديرية الشرقية حين أخذ الفرنسيون يعملون على مصادرة الماشية بقرى بردين والعصلوجى والغار والزنكلون ٠

الشيخ الجوهرى : ثم ظهرت ثورة أمير الحج التى التف حولها أهالى الشرقية ٠٠ والدقهلية والقليوبية والغربية ٠٠ ثم امتدت الى كثير من البلاد ٠٠

نصوح باشا : ولقد حركت تركيا هنا أشياء كثيرة ٠٠ فهزيمتنا فى معركة «أبو قير» كان لها أثر سيىء فى نفوس المصريين لانا علقنا بعض الآمال عليها ٠٠

السيد عمر: ان فرحة المصريين كانت غامرة حين علموا بنزوح نابليون عن مصر ·· وبتدهور الحال في فرنسا ومع أن الحال لم يهدأ تماما في عهد كليبر الا أن كل هذا قد دفعنا الى القيام بثورة مارس عام ١٨٠٠ تلك الثورة التي لا يزال غبارها عالقا بثيابنا ونفوسنا ··

السيد المحروقي : لقد حملنا عبء هذه الثورة سبعة وثلاثين يوما ومع أنها قد انتهت بالهزيمة الا انها نجحت في تجميع قلوب المصريين ·

السيد عمر: لقد تحول فيها المصريون الى جيش ·· فأقاموا بأيديهم معملا للبارود في « الخرنفش » وتوصلوا الى صنع المدافع والأسلحة كما أقاموا في حي الحسين مصنعا حربيا ضخما ·· بارك الله ·· في شعبك يا مصر ··

نصوح : أشهد أن الشعب كان يتحرك تحت قيادة السيد عمر في حب وانفعال بالموقف فقد ذكر لهم أن على كل مصري أن يقدم كل ما يستطيع أن يقدم ·· المال ·· الأبناء ، ولقد كان ياسيد عمر أشد المتحمسين لك « الحاج مصطفى البشتيلي » الذي أحرز مع أهالي حي بولاق نصرا مؤزرا ··

المحروقي : لقد بلغ الحماس بالناس حدا جعلهم ناقمين على الشيخ الشرقاوي، والشيخ المهدي ، والشيخ الفيومي ، لأنهم توسطوا في الصلح مع الفرنسيين ·

السيد عمر: لقد كان عندي أمل دائما في أن يصل جيش الترك ، من الشرق أو جيش مراد من الجنوب ولكن كلا منهما تركنا وحدنا مع مدافع الفرنسيين وحقدهم علينا ··

الشيخ الجوهري : لقد سمعت أنه قد تم الاتفاق بين الفرنسيين والأتراك على ترحيل الاتراك الأسرى الموجودين في مصر ··

نصوح : لقد تمت للفرنسيين الغلبة علينا ··

المحروقي : ان المقاومة مستمرة ··

السيد عمر: ولكن المقاومة لن تنظم الآن ٠٠ فالفرنسيون يضعون أيديهم وأعينهم على كل شيء وقد تعودت الا أعيش الا فى ظل الحرية ٠٠ ومن هنا لن أخفى عليكم أنى لن أبقى فى مصر ما دامت على هذا الحال ٠٠ سأحرم نفسى منها حتى أستطيع أن أقدم لها شيئا نافعا ٠

المحروقى : انى معك ٠٠ لن أقبل الحياة فى ظل الفرنسيين ٠٠

نصوح : انكما تتركوننا مع الهزيمة ٠٠

السيد عمر: سنذهب الى تركيا لنحركها من أجل تحرير مصر ٠٠ فلا بد من مساندة للقضية من الخارج والآن فلأنف نفسى بنفسى ٠٠ وداعا أيتها القاهرة وداعا ٠٠

(موسيقى)

السيد عمر: ان مهمتنا اليوم هى القضاء على خورشيد باشا ٠٠ ونزع الأمر من يده ٠٠ انه لن يسمع منا الا الصوت المرتفع ٠٠ لأن مصر هى التى تتكلم ٠٠

الشيخ السادات : انك بعودتك حاليا ــ من تركيا تعود بالمقاومة من جديد ياسيد عمر ٠٠

المحروقى : لقد تتبعنا فى الآستانة مقتل كليبر ٠٠ وعرفنا الظلم الذى وقع على البلاد من جراء الضرائب مما اضطر الناس الى ترك المدن٠

السيد عمر: وتتبعنا نزول الانجليز على مقربة من الاسكندرية ٠٠واحتكاك الجيش العثمانى بالفرنسيين وخروج الفرنسيين ثم كيف أصبح الجيش التركى يعيث فى البلاد فسادا الى جانب المماليك الذين لا تزال لهم أغراضهم فى الوثوب الى الحكم ٠٠ ومهما يكن من شيء فلا بد من وضع حد لهذه الأمور بالبلاد ٠٠

المحروقى : انى ناقم على خورشيد ٠٠ أشد النقمة ٠٠

الشرقاوى: أتعرف ماذا قال حينما أرسلنا اليه وفدا ليتفاوض معه فى النزول عن الولاية ٠

المحروقى : ماذا قال ..؟

الشرقاوى : قال :

صوت : « لقد ولانى السلطان فلن يعزلنى الفلاحون »

السيد عمر: فلاحون .. هذا فخر بلا شك للمصريين ..

(دقات باب)

السيد عمر: ادخل

(فتح الباب ــ ثم خطوات)

خادم : يا سيد عمر ان خورشيد بك أرسل رسولا يسمى عمر بك انه سيتحدث باسم خورشيد باشا ..

السيد عمر: فليدخل ..

عمر بك : سلام عليكم ..

الجميع : وعليكم السلام ..

عمر بك : لقد أرسلنى خورشيد باشا لأتكلم باسمه فمن سيتكلم باسم مصر ...

الجميع : عمر مكرم .. عمر مكرم ..

عمر بك : كيف تثورون على من ولاه السلطان عليكم وقد قال تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

السيد عمر: « .. ألا فاعلم أن أولى الأمر .. هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل .. وهذا الحاكم الذى أرسلكم ما هو الا رجل ظالم خارج على قانون البلاد وشريعتها فلقد كان لأهل مصر دائما الحق فى أن يعزلوا الوالى اذا أساء ، ولم يرضوا عنه، على أننى لا أذكر ما جرت عليه العادة منذ الأزمنة القديمة .. بل أذكر أن السلطان أو الخليفة نفسه اذا سار فى الناس سيرة الجور والظلم كان لهم عزله وخلعه .. »

عمر بك : « وكيف يجوز لكم حصارنا ومعاملتنا معاملة الخوارج والكفرة ؟ »

عمر مكرم: « اننا نقاتلكم لأنكم عصاة ٠٠ وقد خرجتم على الحق وثرتم على القانون » ٠

عمر بك : « انك تعمل من أجل محمد على ٠٠ »

عمر مكرم: انه صديقى ٠٠ ونرجو للبلاد الخير على يديه ٠٠

عمر مكرم: ان ما يراه أهل مصر لا بد أن ينفذ ٠٠ عليك٠٠ وعلى خورشيد باشا وعلى السلطان نفسه ٠٠

(موسيقى)

محمد على : لقد فعلت الواجب وأكثر يا سيد عمر ٠٠٠ فى الوقوف ضد الانجليز فى الوقت الذى كنت مشغولا فيه فى أسيوط بمحاربة المماليك ٠٠

السيد عمر: ان الانجليز حينما نزلوا فجأة ٠٠ واستولوا على الاسكندرية وعلى رشيد رأيت الشعب كله يلتف حولى ٠٠ ويدعونى الى ضم الصفوف ٠٠ وقد حشدت لهم النفوس والأموال مما كان له أكبر الأثر فى هزيمتهم برشيد ٠

محمد على : والآن ماذا تريد يا سيد عمر ٠٠؟

السيد عمر: أريد أن أعطيك العهد دائما بأن المصريين من حولك ٠٠ وأن المشايخ يلتفون بقلوبهم حول مصر ٠٠

محمد على : ولكننى لست فى حاجة الى هذا ٠٠

السيد عمر: ماذا تقول ٠٠؟

محمد على : ان واجب النضال الآن سقط عنكم ٠٠ بعد أن صار للحكومة جيش ٠٠

السيد عمر: ان معنى هذا ان تحكم الشعب وحدك ٠٠

محمد على : وحدى ٠٠ ولا أحد معى ٠٠

السيد عمر: ان معنى هذا أنك تعزل الشعب ٠٠ انك تنحيه عن أن يحكم نفسه ٠٠

محمد على : وحدى ٠٠ ولا أحد معى ٠٠

السيد عمر: « فى نفسه » لقد جربت الصراع مع المماليك ومع الفرنسيين ومع الانجليز ومع الاتراك ولكنى لم أحس بالمرارة الا حينما غررت بى ··

محمد على : لا تحدث نفسك يا سيد عمر فقد أصبحت مصر لى ··

السيد عمر: « فى نفسه » ان مصر لن تكون لأحد من غير أبنائها ·

محمد على : لا تحدث نفسك فالواقع يؤكد وجودى ··

السيد عمر: التـاريخ ·· الشرف ·· الوطن ·· كل شىء فى هذا الوطن ضدك ·· انك تعزل الشعب اليوم ·· ولكن الشعب سيعزلك غدا ·· سيعزلك حتى ولو تغلغلت بحكمك وذريتك فى الغد ·· فالغد فقط للشعب ··

محمد على : الآن عليك وعلى وفدك الانصراف ··

(أصوات خروج)

عمر مكرم: انى سأعزلك فى يوم قادم ·· قد لا أرى هذا اليوم ·· ولكنى سأكون عزما فى اليد التى ستقوض حكمك من بعدك ··

(موسيقى)

محمد على : ان عمر مكرم أصبح خطرا على حكمى ··

ناصح باشا: ان الناس يتجهون اليه فى محنتهم ·· فحين ثاروا على اهدارنا للحرية الشخصية بالقبض على أحـد العلمـاء ، ذهبوا اليـه وناقشوه فى هذا ، وقد أبى الحضور لمقابلتك اكثر من مرة ·· وأبى الامضاء على وثيقة الصرف التى ترفع للسلطان ··

محمد على : وماذا كان رده حين طلبته اليوم لمقابلتى فى الديوان ·· ؟

ناصح باشا: قال :

صوت : «ان الباشا اذا أراد مقابلتى فينزل من القلعة لمقابلتى فى بيت السادات » ·

محمد علی : أعلن أنی خلعت عنه رياسة نقابة الأشراف الى الشيخ السادات ..

ناصح باشا: هذا شيء يستحقه .

محمد علی : وآمر بنفيه الى دمياط .. أتعرف معنى نفيه الى دمياط ..

ناصح باشا: معناه أن نتخلص من منافسك ..

محمد علی : معناه أن أحكم حكما مطلقا .. فوجهه هنا يذكرنی بالشعب. وصوته يذكرنی بالناس .

ناصح باشا: لكأنی أراه الآن فی منفاه .. محزونا شقيا .. وأنه حين يعود ثانية الى القاهرة يكون قد فقد تأثيره على الناس .

محمد علی : ان أخشى ما أخشاه امتداده الى جيل قادم .. جيل يثأر من أحد أبنائی .. ان رأسی يدور ..

صوت عمر مكرم: « انی سأعزلك فی يوم قادم .. قد لا أرى هذا اليوم ولكنی سأكون عزما فی اليد التی ستقوض حكمك » .

محمد علی : أوقفوا هذا الصوت ..

صوت عمر مكرم: التاريخ .. الشرف .. الوطن .. كل شیء فی هذا الوطن ضدك .. انك تعزل الشعب اليوم .. ولكن الشعب سيعزلك فی واحد من أبنائك غدا .. الشعب .. الشعب ..

رابح فضل الله

- ١ -

الراوى : (فى القرن التاسع عشر . لم تقع افريقية غنيمة باردة فى أيدى المستعمرين فكل جزء وقع منها كان من حوله الشهداء والدماء . ولقد كان فى مقدمة هؤلاء الشهداء رابح فضل الله الذى وقف فى صلابة أمام الأجانب فى السودان ، وفى بطولة امام الفرنسيين فى امبراطوريته الكبيرة التى كانت تتكون من وداى وبرنو وكانم وملحقاتها ، والتى تشكل الآن جمهورية تشاد . وأجزاء من شمال الكمرون . وشمال شرق نيجيريا وجنوب غرب النيجر .

وكان رابح فى حياته بل فى موته ضمير القارة الذى ينبض دائما . والذى يؤكد أن القارة ستنهض وستنتصر .. ان تاريخ رابح فضل الله جزء من تاريخ الصراع فى افريقية فلننصت الى هذا التاريخ ..)

(صوت خطوات متتابعة)

فضل الله : صباح الخير يا ولدى رابح ..

رابح : صباح النور يا أبى ...

فضل الله : أراك قد غيرت عادتك ..

رابح : أية عادة يا أبى ..؟

فضل الله : كأنك تنسى يا رابح أنك فى كل يوم كنت تحضر الى حجرتى .. ثم تقرأ على السلام .

رابح : هذا حق يا والدى . ولكنى لم أغادر الدار بعد .. ثم انى ..

فضل الله : ثم ماذا ؟٠

رابح : لا شيء ٠٠ لا شيء ٠٠

فضل الله : لا شيء ٠ أتكون غير راغب اليوم فى الذهاب الى حلفاية الملوك ٠

رابح : هو ما تقول يا والدى ٠٠ فلم أعد بالحاجة الى الذهاب هناك ٠

فضل الله : أيكون الفقيه الهاشمى قد أغضبك ٠٠ انه يثنى عليك دائما ٠

رابح : لقد أضاء فى قلبى النور ٠٠ وها هى حياتى قد أصبحت ممتلئة به ٠

فضل الله : ان نور القرآن يا ولدى يتجدد دائما ٠ وهو من العمق والشفافية بحيث يحس الانسان ان هذا النور متجدد دائما ٠ فالنور فيه يولد نورا وهكذا ٠

رابح : ولكن ٠ الفقيه الهاشمى أعطانى ماعنده ٠ كل ما عنده ولم يعد عنده شيء لم أصل بعد الى أعماقه ٠

فضل الله : وماذا عن الحساب والاملاء والخط ٠

رابح : لقد أحصيت الشيء الكثير على يد زملائك فى الجيش المصرى ٠

فضل الله : حقا ، يا ولدى ، فمنذ انتقلنا من جبل ادريس الى الخرطوم وهم يتعهدونك ٠

رابح : انى لا أنسى فضلهم فى تعليمى ٠٠ وبخاصة حسن أفندى الذى ما يكاد يرانى حتى يمسح على رأسى ثم يردد :

« رابح يا ولدى ٠٠٠ لا أدرى لماذا كلما جلست الى تذكرت ولدى ابراهيم فى قريتى بمصر ٠ فهو مثلك فى الطول وفى السن وفى هذه الكبرياء التى تظلل جبينك فاذا رغبت عن درس الحساب فى يوم من الأيام فلا تنس أن تحضر لكى أراك ٠

فضل الله : وهأنت قد عملت بالوصية ٠٠ ما زلت فى البيت الى الآن برغم أنا قاربنا على الظهيرة ٠٠

رابح : انك غاضب منى اليوم يا أبى ٠٠

فضل الله : ليس ما بى هو الغضب ولكنه الخوف على مستقبلك ٠

رابح : لقد علمتنى ألا أخاف . فلم يداخلك اليوم الخوف على .

فضل الله : ليس هو الخوف عليك فقط ياولدى ... ولكنه الخوف على الماضى الذى ورثناه على قاماتنا المشدودة فى مملكة سنار . على زهو قبيلة الهمق التى نرجع بأنسابنا اليها أتعرف هذه القبيلة ياولدى .. ؟

رابح : أعرف أن الأمور قد آلت اليها فى سنار بعد ضعف ملوك الفونج ، وأن رجالها كانوا يحبون العلم ، ويكرمون العلماء .

فضل الله : وهأنت يا ولدى تؤتمن على ميراث هذه القبيلة . وأملى ألا تكون نقطة ظلام فى تاريخها الطويل ، فستظل هذه الأسرة تتنفس منك ما دمت ستجد المعرفة أما اذا فقدت المصباح فسيضل الطريق كل من يأتى بعدك .

رابح : أرجو أن تطمئن بالا يا والدى ..

فضل الله : اذن . فهيىء . نفسك لتلقى الدرس اليوم من «حسن افندى» ولكن لقد اشتدت الحرارة فى الخارج ، فعليك باستعادة دروسك والتوجه فى الغد الى الحكمدارية لمقابلة حسن افندى ، وتلقى الدرس الذى فاتك .

رابح : لم يفتنى شىء .

فضل الله : وكيف هذا ، يبدو انك ستغدو أضحوكة من « سلامة الباشا » فى الخرطوم ..

رابح : صدقنى يا والدى انه لم يعد عند حسن افندى شىء جديد يعطيه اياى ..

فضل الله : الله .. الله . لقد ركبك الغرور يا رابح ..

رابح : ولكنها الحقيقة .. فما ينقصنى هو الخبرة ، هو المجازفة ، هو أن أنفض التراب الذى يتراكم على أيامى هنا .

فضل الله : التراب .. لكأنك ضقت ببقائك فى بيتى ..

رابح : بل لقد ضاقت على نفسى .. فأنا أريد تغيير حياتى .. أريد أن أقوم بشىء عظيم شىء ربما كنت لا أحسن التعبير عنه ، ولكنى أحسه يزلزل أعماقى يشدنى بعيدا بعيدا ..

فضل الله : اذن فقد وطنت نفسك على مفارقة أبيك . وترك أمك وأخوتك وبيتك ..

(تدخل الأم باكية)

الأم : ماذا تقول يا رابح .. كيف تقوى على التفوه بما قلت . لقد استمعت الى حديثكما من الحجرة المقابلة فلم أعره التفاتا ، ولكن شيئا من الخوف اعترانى ، فوجدتنى على باب هذه الحجرة ، واذا بى أسمع ..

فضل الله : تسمعين عزمه على الرحيل ..

رابح : لقد كنت أنت الذى حرضتنى على هذا ، أنت الذى حدثتنى طوال عمرى عن سنار ، وعن الفونج وعن الهمق ، وعن المجد وعن العلم .

الأم : ولكنه لم يحدثك عن فراقك لنا ..

رابح : ان كل هذا معناه الفراق .. معناه الاقتحام .. معناه المغامرة

الأم : ليته صمت .. ليته لم يتكلم أبدا ..

فضل الله : بل انى مسرور بكل كلمة قلتها لك فى أعوامك التى قاربت العشرين فهذا الموقف هو ثمرة كل ما قلت ..

الأم : أوه .. ما أمر طعم هذه الثمرة ..

فضل الله : ستحلو الثمرة بعد ذلك فى فمك يا أم رابح .. على أن تتركها ملكا للشجرة تفعل بها ما تشاء ..

الأم : ولكن ما نصيب الأم فى كل هذا .. لاشك أنه السهر ... والقلق .. والتمزق .

رابح : لا تبك يا أمى .. انى سأعدل عن السفر ما لم تباركى كل خطوة سأخطوها الى الجنوب .

فضل الله : لا تضعف يا رابح . تذكر سنار الهمق والمجد .

رابح : انى فقط أريد من حنان أمى ألا يقف ضدى ..

الأم : ان الحنان لا يكون أبدا ضد أى شىء . ان حنانى معك ..

فضل الله : اتفقنا ·· فلنعد العدة لرحيله ··

الأم : ما دام هذا يرضيك يا رابح فسيرضينى ··

رابح : عشت لى يا أماه ··

الأم : ومتى الرحيل يا رابح ؟

رابح : بعد أسبوع ··

الأم : ليت الزمن لا يتحرك ·· ليت الزمن لا يتحرك ··

ـ ٢ ـ

الراوى : (مع الدموع ودع رابح مدينـة الخرطوم · ومع أنه أحس أن شيئا يتنفس فى نفسـه · أن شـيئا يخضر فى حيـاته الجـافة ، الا أنه شـعر بالألم الحقيقى ، حينما ترك وراءه أمه ·· أباه ·· ذكرياته ·· أشواقه ، الا أن هذا الاحساس سرعان ماأخذ يتوارى ليحل مكانه احساس آخر · احسـاس بالقوة · احساس بالمغامرة ، على أنه لم يمض كثير من الوقت حتى أحس أنه فى قلب المغامرة ، ترى ماذا كانت هذه المغامرة الاولى فى حياته) ·

ادريس : ماذا تفعل الآن بعد أن قضت مصر على «كبانيات» التجارة فى الجنوب ·

عثمان : الواقع أنه موقف محير ·

ادريس : مالى أراك صامتا يارابح أتراك حزينا على أنك وصلت الى «وكيل كبانية» ، ثم انتهت هذه الكبانيات ·

رابح : انها لم تنته بعد «فللزبير» رحمة هنا ·· نفوذ لايمكن للحكومة أن تصل اليه وعلى كل فأنا أرى أن ننضم جميعا الى الزبير ·

عثمان : ولماذا لا نعـود الى الخرطـوم ·· الى الآباء والامهـات ، الى الوطن ·

ادريس : وأين نحن اذن !؟

رابح : انى أحس برائحة وطنى فى كل مكان هنـا ·· ثم بأى شىء نعود الى الخرطوم ·

عثمان : بالمال الذى معنا ٠

رابح : ولكنا لم نحصل على مجد بعد ٠

عثمان : ان المجد فى نظرى أن أعود ٠

رابح : ولكنه فى نظرى ألا نعود الآن ، بل ألا نعود مطلقا الا اذا تحقق شيء من أحلامى هنا٠٠ ان سيفى قد علاه الصدأ وقد آن له أن يخفق كعلم فوق بحر الغزال ٠

ادريس : فى أى شيء تفكر ؟

رابح : أفكر فى أن نسير الآن فورا الى الزبير فقـد سمعت أنه كون جيشا ليرد به على (بيكر) الذى يتسلط على التجار والعرب فى هذه المنطقة من الجنوب ، انه على قيد خطوات منا ٠

عثمان : لقد حمستنى فلنسر اليه ٠

رابح : فلنسر ٠

(موسيقى)

بشرى :٠(خادم زبير) ياسيدى ٠٠ ان رابح يزلزل الارض بالقرب منا ٠

الزبير : لقد سمعت عنه ماحببه الى ٠٠٠

رابح : السلام عليك يا أبا سليمان ٠

الزبير : وعليك السـلام يارابح ٠٠ وعـلى من معك ٠.لقد كنت أحب الجلوس والاستماع اليك ولـكن الجيش يستعد الآن لغزوة (بحر الغزال) فأى شيء تحب أن أقدمه اليك ؟

رابح : أن أكون وصاحباى من سيوفك ٠

الزبير : مرحبا بكما ٠٠ مرحبا بكما ٠ فى مقدمة جيشى والآن يارجال الزبير الى الامام والنصر معكم وعليـكم أن تحافظوا على شرف المعارك مع القبائل التى ستقابلنا ٠

رابح : (صائحا) الى الامام ياجيش الزبير الى الامام ٠

صـوت : الآن قد دانت بحر الغزال للزبير ٠

الزبير : فى وقت انتصارى هذا لا أنسى أن أذكر شجاعة رابح ، فقد كان يحارب ككتيبة وينقض كجيـــــش انه من الآن ولدى وصديقى ٠

رابح : ان هذا يشرفنى ويعلى من قدرى ٠

الزبير : ان هذا رد على هؤلاء الذين يستعينون بالرجل الابيض فى فتح البلاد بدلا من استعانتهم بالسيوف الماضية من أبنائها ٠

رابح : ولكنى سمعت أنك دخلت فى مفاوضات مع حكومة الخديوى٠

الزبير : نعم ٠٠ فانى لا أريد أن تقوم فجوة بينى وبين الحكومة ٠ ثم انى أردت أن أسد الطريق على «البيض» الذين يمثلون الحكومة فى هذه المناطق ثم لاتنس أننا ما زلنا قوة ناشئة تشق طريقها بقسوة فى هذه المنـــاطق المقفولة ، والتى يجب أن ترتبط بالوطن ٠

رابح : وماذا كان رد الحكومة ، وما الذى ننتظره منها ما دامت تنظر فى هذه البلاد بعيون غير عيوننا ، وتحس بقلوب غير قلوبنا ٠

الزبير : لقد وصلت الى النتيجة قبل اجتماعنا هذا مباشرة ، فقد عينت من قبل الخديوى مديرا لمديرية بحر الغزال ٠

رابح : انى أرى اسم الزبير يجب أن يكون مقرونا بمملكة كبيرة بمملكة تقوم فى دارفور ٠

الزبير : كأنك تزين لنا الحرب من جديد ٠

رابح : ولم لا ٠٠ وقد أخذ الجيش راحته ٠٠ وما زالت الحماسة تغلى فى النفوس ٠

الزبير : انك ملهم يارابح ، فلتصدر أوامرك ٠

رابح : على الجيش أن يستعد ٠٠ وأن يتزود بالمتونة الكافية فسنسير للخرطوم عن طريق دارفور وكردفان ، وســنلاقى فى سيرنا عرب الرزيقات ، ولا شك اننا سنصطدم بهم وبحليفهم ملك دارفور ٠

(موسيقى)

الزبير : لقد كان قدومك الينا خيرا وبركة يارابح ٠

رابح : لقد وجدت نفسى حين وجدتك ، أما قبل ذلك فقد كنت ضائعا والآن اعتقد أنى اكتشفت نفسى ، عرفت الحلم القديم الذى يداعب خيالى ، قاربت أن أحقق هذا الحلم ٠

الزبير : انك جدير يارابح بكل خير ، ولكن مالى أراك غير مستقر فى مكانك ٠

رابح : الانتظار هو الذى يقلقنى ان المعركة أهون على من الانتظار٠

الزبير : لعلك تقصد انتظارنا للحكمدار اسماعيل أيوب حاكم السودان فسيصل الى الفاشر اليوم هاقد لاح موكبه ٠

رابح : انى غير مرتاح لرؤية هذا الحكمدار ٠

الزبير : تقدم يارابح فهاهو فرسه ينهب الارض الينا ٠٠

(خطوات فرس يجرى)

الحكمدار : لقد أصبحت شيئا كبيرا يالواء زبير ٠

الزبير : لواء ٠

الحكمدار : نعم فقد أنعمت عليك الحكومة بهذا اللقب ٠

الزبير : شكرا للحكومة ٠

رابح : لا شكر الا للسيوف التى دارت فى المعركة ٠

الحكمدار : ماذا يقول هذا الرجل ٠

الزبير : انه ساعدى ٠٠ القائد رابح فضل الله ٠

الحكمدار : لقد سمعت عنه ، ولكنه لماذا يبدو الغضب على وجهه ٠

رابح : انها سمات المحارب ياسيادة الحكمدار ٠

الحكمدار : حتى صوتك غاضب ٠

رابح : انه صوت المحارب ياسيادة الحكمدار ٠

الزبير : فلنسر الى بيت الضيافة ٠

الحكمدار : أوه ٠٠ انه يبدو كأنه حانق على ٠٠ انه يضع يده على سيفه ٠٠ انه يشهر سيفه ٠ ماذا يريد أن يفعل ٠٠ ماذا يريد رابح ٠

الراوى : (عادت الآمال تداعب قلب رابح ، خفقت نسمات المجـــد على جبينه تحت قيادة الزبير باشا وبرغم المؤامرات ،ونفوذ الرجل الابيض فى السودان انه أحس انه لابد للظلام أن يضىء من حوله أن يزدهر بفجر افريقى يوفر للناس العدالة والحرية ومع أنه أدرك أن هذا الفجر لابد أن يرفع من أجله السيف ، فانه كان قرير النفس والعين معا ، فهو لايحس بقوته الحقيقية الا حينما يكون هناك موقف يجابهه ، معركة تتحداه ، أمـل يسعى الى تحقيقه ، وقد لاقى كل هذا ، ولكنه تصرف بحكمة وحذر ، وكان أن خرج من المحنة منتصرا .

بشرى لقد ارتعد الحكمدار حين رأى وجهك عابسا ويدك على سيفك.

رابح : لقد أردت أن أزلزل أعماقه ، ثم ان هذا نوع من الحرب .

بشرى : أترانا سنضع السيوف فى اغمادها فى يوم من الايام .

رابح : لقد استيقظت السيوف فى افريقية ولن تغمد الا فى ظـل الحرية والسلام .

بشرى : ما أشوقنى الى أن ننعم بالحرية والســلام والســودان ، بل بافريقية .

رابح : بل بالعالم أجمع . فمن حق كل انسان أن يعيش فى سلام وفى حرية .

(موسيقى)

سليمان : مالى أراك مهموما يارابح .

رابح انى أحس أن قطعة من قلبى قد انتزعت بعد أن غادر والدك الزبير البلاد .

سليمان : انهم بلا شك سيرحبون به فى القاهرة .

رابح أنا أخالفك فى هذا .. أخالفك . وقد كنت على حق حين طلبت منه عدم السفر الى الخديوى اسماعيل ، قد سمعت أن الاجانب يسيطرون على عقله ، وانه قد مكن لبعضهم فى الشمال .

سليمان : وفى الجنوب كذلك ٠

بشرى : لقد وصل نبأ يقول أن غوردون قد كاد للزبير عند الخديوى وانه خوفه من عودة الزبير الى السودان كما ذكر له أن عودة الزبير تعنى إعلانه استقلال السودان ٠

رابح : وانا على ثقة من أن الخديوى قد سمع لهذه الوشاية ٠

سليمان : اننا نمثل هنا قلب افريقية النابض ولكن الاجانب لا يريدون لهذا القلب أن يدق الا بين ضلوعهم وهاهم يتسربون الينا من خلال الخديوى ٠٠ من خلال ضعفه ٠

رابح : يخطىء من يظن أن افريقية نائمة ٠

سليمان : يخطىء من ظن أن اخواننا فى الشمال نائمون ٠

رابح : انى لا أثق فيمن لايثق بالشعب الذى يحكمه ٠ فهل عقمت مصر أو السودان حتى يستوردوا لنا ، البيض من وراء البحار ليحكموهما ٠

سليمان : ان تصرفات البيض تتصف دائما بالحقد على العرب ٠

رابح : هذا شىء طبيعى يا سليمان ٠

سليمان : لقد ذكر لى أن كازاتى كتب الى جريدة المكتشف بميلان يقول «يجب أن نفصل تماما البلاد التى فى جنوب السودان عن البلاد التى فى شماله ٠ فالعرب المنتشرون فى البلاد يجب جمعهم وارجاعهم الى جزيرتهم العربية» ٠

رابح : هـــذا كثير ٠٠ فالعرب ليس لهم فى آسيا أكثر مما لهم فى افريقية وأعتقد أن هذه حيلة لالتهام البلاد ٠٠ لالتهام كل افريقية ٠

سليمان : كل افريقية ٠

رابح : انى أحس ضبابا كثيفا يقبل من بلاد بعيدة ثم يحط على نفسى على بلادى ٠

سليمان : لا تبالغ فى الوهم يا رابح ٠

رابح : بل هى الحقيقة ٠ ان هناك خطة مدبرة تمتد خيوطها من يد الخديوى حتى تصل الى لندن ٠

سليمان : لعلك تبالغ بعض الشيء يارابح · انك مهموم اليوم حقا ·

رابح : ومالى أذهب بعيدا · وقد وصلت الأنباء بأن «ادريس بتر» أحد أعوان الحكومة سيعين مديرا لبحر الغزال ·

سليمان : انها بلا شك أنباء سيئة ·

رابح : انى سأكون أول من يرفع السيف فى وجهه ، فلن يعين أحد على بحر الغزال والزبير ما زال موجودا ومالى أذهب بعيدا فمن الغد سأتحرش بجيش الحكومة ·

سليمان : انه لامناص لنا من هذا ·

بشرى : ان ادريس بتر وجنده قد عسكروا بالقرب منا ·

رابح : فلنتحرش بهم من الآن ·

سليمان : اذن فلنجمع القواد لنعطى لهم تعليمات بهذه المناوشة ·

بشرى : سأجمع لك فورا ·

(موسيقى ـ أصوات عدة)

سليمان : أيها القواد انى سأوجهكم الى معركة سريعة مع جند ادريس بتر فقد جاء الينا باسم الحكومة · وباسم البيض الذين يتحكمون فى البلاد ولن نسلم مكاسبنا أبدا لأحد ، لن نفر من أمامهم ، ولن نسلمهم ذرة من الارض التى نقف عليها ·· هذه هى كل تعليماتى ·

رابح : أرجو ألا تنسوا عنصر المباغتة عنصر الضربة السريعة الحاسمة وهأنذا أمامكم مع سليمان ابن قائدنا الزبير ·

أصوات : الى الحرب ·· الى المعركة ·

(موسيقى المعركة)

رابح : سليمان فلنتجلد · لقد أصدر غردون من الخرطوم بيانا ذكر فيه أنه شكل مجلسا عسكريا ·

سليمان : ثم ماذا ··· ثم ماذا ؟

رابح : وانه فى هذا المجلس حكم بالاعدام عليك وعلى أبيك · أبيك الزبير ياسليمان ·

سليمان : على وعلى أبى ؟

رابح : وأصدر أمره بوضع منازل الزبير فى الخرطوم تحت الحراسة والقبض على كل من يمت له بصلة ٠

سليمان : كل من يمت له بصلة ؟

رابح : وأمر ببيع محتويات هذه المنازل فى المزاد العلنى ٠

سليمان : هذا كثير ٠٠ هذا كثير ٠

رابح : انى أشك فى عودة الزبير فلتكن أنت الزبير ٠٠ فلتكن ٠ ٠ فالزبير لن يموت طالما أن سيوفنا ظلت مشهورة ولكنه سيموت حين نغمد السلاح حتى ولو كان يعيش فى القاهرة ٠

سليمان : ان التركة صعبة ٠

رابح : ونحن أقوى من كل شىء ٠

سليمان : لقد نسينا خبر الحملة التى وصلت بقيادة جسى ٠

رابح : لقد احتككنا بها فى صباح هذا اليوم وقد بلغنى أن جسى يريد مقابلتك للتفاوض معك فى شئون البلاد ٠

سليمان : وما رأيك فى هذا يارابح ٠

رابح : رأيى ألا نأمن لهذا المرتزق الايطالى ٠

سليمان : ولكنى أخالفك ٠ فقد يكون يحمل شروطا تتصل بحياة والدى ٠

رابح : ان مثله لن يحمل الا الموت ٠

سليمان : قد يحمل حياة الشيخ المفروض عليه الحصار فى القاهرة ٠

رابح : سليمان ٠ ضع عينيك على سيفك ٠ ولا تضعها فى وجه رجل أبيض ٠

سليمان : ان حياة الشيخ عندى فوق كل اعتبار ٠

رابح : اننا ندافع هنا عن الوطن ــ كل الوطن ٠

سليمان : ولكنى أخالفك ٠

رابح : انك تخون بهذا الزبير ٠٠ والشهداء ٠٠ والوطن ٠

سليمان : تذكر أنى القائد ٠

رابح : تذكر أنى البلاد ٠

سليمان : انك تحرضنى الآن على مقابلته ٠

رابح : انى أحرضك على أن تعيش ٠٠٠

سليمان : فليتبعنى حارساى لمقابلة جسى ٠

رابح : تذكر أنك وانت تخالفنى أنى نصحتك بعدم الثقة فى الاجانب وعلى كل فأنا الوحيد الذى سيحمل عبء دمك اذا قتلت وعبء عودة الزبير الى مجده ٠

سليمان : سلاما رابح ٠

رابح : وداعا ياسليمان ٠

(موسيقى)

رابح : لقد مر وقت ولم يعد سليمان ٠

بشرى : انه كما قلت لن يعود ٠

رابح : انى أسمع أصواتا بعيدة ٠

(أصوات تقول سليمان قتل ٠٠ سليمان قتل)

بشرى : واسليمان ٠

رابح : لا تذرف دمعة واحدة ٠ الا اذا أخذنا بثأره من كل البيض ٠

بشرى : فلنقتل « جسى » ٠

رابح : انى لأرى الأمور كما تراها ٠٠ ان دائرة بصرى تمتد أكثر من قبل ، فلنناد فى الجيش ٠ انى سأتجه الى الغرب ٠

بشرى : ان جسى فى الشرق فلم نتجه الى الغرب ٠

رابح : فلتناد فى الجنود انى متجه الى الغرب ٠

بشرى : لن يتبعك أحد ، وبرغم ذلك سأنادى ٠٠ أيها الجند ان رابح يأمركم أن تتجهوا معه الى الغرب ٠

رابح : الى أية جهة يتجهون ؟

بشرى   لا أدرى فغبار المنطقة لايميز اتجاههم .

رابح   يالله ان الغبار يخفى كل شيء .

بشرى : كل شيء .

- ٤ -

الراوى : (وفى ضوء الخديعة التى دبرت للزبير لكى يبعد عن ميدانه الحقيقى ، وفى ضوء الدماء التى سالت من سليمان بن الزبير وجد رابح انه لابد أن يحارب فى ميدان القتال والسياسة بنفس الضراوة .. بنفس الشجاعة ، وقد أثمرت حركته فى الامارات الصغيرة ، والقبائل التى كانت على طول امتداد الغرب من السودان وقد كان فى هذا كله يحس انه يقابل اخوة له وأصدقاء بعد أن ينجلى غبار المعركة ومع أن هذا كان يرضيه الا أنه أحس بانزعاج حينما رأى أن الفرنسيين يتحسسون أماكن لهم فى هذه المنطقة ، وقد أدرك تماما انه وقد ترك الانجليز وراءه لابد أن يصطدم بالفرنسيين فى هذه المنطقة .)

رابح   أشكركم فأنتم الآن ألف فارس ، تستطيعون أن توقظوا الصحراء وتقلقوا الأعداء وتهزوا اعماق افريقية .. فالى أين تحبون أن نتوجه ؟

قائد : الى حيث تحب فنحن وراء رايتك فى الصحراء والغابات والأنهار .

رابح   انى أريد تكوين مملكة بسواعدكم نبنيها بالعرق والدموع فى هذا الامتداد الافريقى الكبير ، فاذا تم لى ما أردت عدت بجيش قوى لتحرير الوطن .

قائد : لقد كان رأيك هو الصائب دائما فلتتقدم .

رابح   هيا على بركة الله .

(خطوات متواصلة)

قائد : أين نحن الآن ؟

قائد : لقد جئت الى هنا من قبل فى أحد اسفارى .. ان هنا بحر مأمون .

رابح : حيث تقيم قبيلة «قلا» لقد سمعت انها شديدة المراس .

قائـــد : لن تكون أقوى من ساعدك .

رابح : فلنتقدم .

(خطوات متواصلة وأصوات معركة)

قائـــد : والآن وقد انتصرنا فالى أية جهة نتقدم ؟

رابح انا قادمون ــ كما قيل لى ــ على قبيلة «الزنقا» وقد ذكر لى أن سلطانهم (هاشم أبو حقيقة) من المحاربين الاقوياء .

قائـــد : لن يكون أقوى من رابح .

رابح : هاهى ديارهم قد لاحت لنا .

قائـــد : انهم مسلحون .. فهم على علم بمقدمنا .

رابح : لقد أصبحنا نملأ المنطقة بانتصاراتنا .

قائـــد : بل قل بانتصاراتك .

رابح : ان نصيبى لا يقل عن نصيب واحد منكم فى تحقيق هـــذا النصر .

قائـــد : هاهم أمام رماحنا وسيوفنا .

(خطوات متواصلة وأصوات معركة)

(موسيقى هادئة)

قائـــد : والآن وقد ارتحنا فلنتقدم الى «كيتى» فهى غير بعيدة من هنا .

رابح هيا يا جيش رابح .

(أصوات الخيل)

قائـــد : انى لا أرى أحدا .

رابح : بل أرى السلطان الذى قيل ان اسمه «السنوسى أبكر» .

قائـــد : انى أكاد أرى ابتسامته .

رابح سلام عليك يا سلطان . انى أعرض عليك السلام .

السلطان : وأنا أقبله ·· فادخل بلادي محفوفا بالطمأنينة ، ان بيتى من هنا فى ظاهر المدينة ·

رابــح : فلنترجل يا رجال ·

السلطان : يا أهل كيتى ان من يقابلنا بالسلام نقابله بالسلام ، فأكرموا ضيوفكم ·

رابــح : لقد أسرتنى بكرمك ·

السلطان : لقد سمعت عنك قبل مقدمك وانا معك فى أن هـذه القبائل يجب أن تتوحد تحت راية واحدة ، وانا وشعبى اليوم من جنودك ·

رابح : انى أسير كرمك ·

السلطان : بل واتركنى أعرض عليك احدى بناتى ، ولابنك هـــذا ، ما اسمه ·

رابــح : فضل الله ·

السلطان : واحدة أخرى من بناتى ·· حتى تتوثق بيننا العرى ·

رابــح : هذا ما لم أحلم به ·

السلطان : أقدم اليك الآن الشاعر البخيت الجعلى ·· ليقول لنا شيئا من شعره ·

رابــح : قل يابخيت ·

الشــاعر : لن تسمح منى أيها السلطان الا قضايا وطنى · ·

رابــح : وهل هناك أجمل من قضايا الوطن ·

الشــاعر : لا تأمن ناسا خاينين قباح ·
أولادك لابسين شباك شايلين سلاح ·
آدم أبو أم كلثوم ولدت نجاح ·
مضمون يفدى الطير عند الصباح ·

رابح : من هو آدم أبو أم كلثوم ..

السلطان : هو أكبر أبنائى .. الواقف وراءك ·

الشاعر : لا تأمن ناس خاينين كفر ·
من ربنا الوهاب جاك النصر ·

آدم أبو أم كلثوم ودلت قدر
مضمون يفدى الطير عند الفجر

السلطان : ألا تقول شيئا مدحا فى السلطان رابح .

الشاعر : انى أمدحه حين اعرض عليه قضية شعب كيتى ..

رابح : ما احوجنى الى سماع هذه القضية .

الشاعر : لقد حضر جماعة من الفرنسيين الى السلطان واهدوا اليه بعض الأسلحة الحديثة ولكنهم أثاروا ريبتى بعملهم هذا ، فما الذى يحملهم على تقديم هذه الهدية .. ثم انى رأيتهم أكثر من مرة يجولون فى البلاد ، وينظرون الى مداخلها ، ثم يخططون على ورق فى أيديهم ، وفى اغينهم شىء غريب يحمل على الخوف .

رابح : لقد عانيت من هذا الشىء الغريب الكثير لقد وجدته فى بلادى فى وجوه الأنجليز وماقد كتب على أن أراه هنا فى وجوه الفرنسيين .

السلطان : لاداعى للخوف .. فهم يعاملوننى بأدب ولطف هيا الى الاماكن التى هيأها الشعب لكم . وأهلا بكم ..

(خطوات تصور الانصراف .. موسيقى حزينة)

آدم (يصرخ ياسلطان رابح .. ياسلطان رابح) .

رابح : ماذا يا آدم ؟

آدم : ان أبى ما كاد ينصرف من عندك الى حجرته حتى صوب أحد الفرنسيين مسدسه الى جبهته ثم أطلقه .. مات ابى مقتولا بيد الفرنسيين ..

رابح : لا تبك على والدك فقط . فسيتساقط كثيرون بأيدى هؤلاء الدخلاء الذين بدءوا يتسللون الى بلادنا من الشرق ومن الغرب ..

آدم : سأنتقم له .

رابح : لا . لا انها قضية الملايين فى القارة . فاذهب واستعد لدفن السلطان .

آدم : سأثار له من الآلاف ..

رابح : انهم يطوقوننى الآن من الشرق ومن الغرب . انهم يضربون فى الظلام ولكن من . من القادم .. من القادم ..

- ٥ -

الراوى : (لقد وحد « رابح فضل الله » قلوب الافريقيين مما جعل النفوس تحيط به ، والآمال القومية ترفرف فوقه كأعلام فقد كان «حركة بعث» فى تلك المنطقة التى كانت راكده فقد جمع القلوب المتنافرة ووحد الآمال المتناقضة وسلك الناس من حوله فى خيط واحد .

وكان أن قامت دولة كبيرة تحت لوائه تخضع لنظم دقيقة توائم هذا العصر . وقد كان ظهور دولته دليلا واضحا على أن قلب القارة مازال ينبض وأن افريقية مستعصية على القوى الدخيلة وان « رابح » يمثل شكلا من اشكال القوة الأفريقية ..)

رابح : لقد سرنا فى التاريخ مراحل طويلة ..

فضل الله : لقد تغلبنا على السلطان « كروندس » سلطان قبائل «بندة» وعلى السلطان « ونبقو » سلطان قبيلة « منجا » وعلى السلطان « جليبو » سلطان قبيلة سارا والسلطان اندمانى سلطان دندى » ..

رابح : والسلطان كادى سلطان « بافرما » ، والسلطان جقو سلطان «بحر ارده» ، والسلطان « أم ـ بنداى » سلطان أحد أقسام «سارا» ، والسلطان « بنداس » سلطان قبيلة كريش » .

فضل الله : السلاطين وقى ، وسمراى ، وعبد الرحمن تورنه ، ويوسف .

رابح : ان تتويج انتصاراتنا كان بلا شك وضع يدنا على مملكة البرنو .

فضل الله : ان سكان هذه المملكة خليط من البرنو والكانجو ، والعرب والفلانه .

رابح : لقد ذكر لى ان « البرنو » من عرب جهينه .

فقيه : لقد نزح أهلها من مصر الى هنا مدة حكم الفاطميين ، ثم جعلوا عاصمتهم مدينة قزرقموا ، وصلات هذه البلاد بمصر وثيقة ، وقد تولى حكمها قبل مجيئك رجل أزهرى من « الكانمو » يسمى الشيخ محمد الكانمى ..

فقيه آخر: لقد سمعت أن البرنو يرجع نسبهم الى « حمد » الذى هاجر بعض أهلها الى نيجيريا فى أوائل الاسلام ·

رابح : انى أرتاح الى كل مكان يوجد فيه العرب ·· ولما كانت «برنو» هذه تفوح منها رائحة العروبة فانى سأجعل فيها عاصمة ملكى ومنها سأعمل على نشر الاسلام فى البلاد المجاورة ·

فقيه : لقد أديت الى الاسلام هنا الكثير ، وقد سررنا اليوم باعلانك بناء مسجد كبير فى بلدة « دكو » ·

رابح : لو استطعت لأقمت فى كل مكان بافريقية مسجدا لأنه حيث يوجد الاسلام الصحيح توجد الحرية والســـلام ، والحياة الكريمة ·

فقيه : ان أياديك على هذه البـــلاد بيضـاء ·· فنحن لا ننسى أمرك بتأليف المجلس الشرعى برياسة الفقيه أحمد كبير ·

رابح : أنه رجل فاضل يخرج النور من شفتيه ··

فقيه : ونحن لا ننسى هنا أخذك بمذهب الامام مالك ··

رابح : لقد لاحظت أنه منتشر فى افريقية أكثر من أى مذهب آخر ·

فقيه : نحن لا ننسى عكوفك على القرآن وعملك على تأكيد تعاليمه فى القلوب ، انى لا أزال أتذكـــر اليوم الذى دخلت منتصرا الى برنو ، فقد أمرت باطلاق المدافع التى كانت شيئا جديدا على البلاد مما أزعجهم ، وجعلهم يفرون من الخوف ··

رابح : ولكنى طمأنت قلوبهم حين أمرت بقـــراءة القرآن ، فاذا هم يقبلون ، والبشر يكسو نفوسهم ·

فقيه : ان القرآن يملأ القلوب دائما بالطمأنينة ·

رابح : هاهو الشيخ « أحمد كبير » قد هل نوره على مجلسنا ·· أهلا بك ··

احمد كبير : أهلا بك ·· وبعدلك الذى ملأت به البلاد والنفوس ·

رابح : تعال ولتجلس الى جانبى ، حتى لا أعلو عليك قيد شعره ··

أحمد كبير: شكرا شكرا ·· ولنأذن بدخول أعضاء المجلس الشرعى لأننا سنعقد جلسة بحضورك ·

رابح : ان هذا يشرفنى ·· وليس أحب الى من الاســـتماع الى عالم يتحدث .. فليدخلوا .

أحمد كبير: لقد لاحظنا أنه ليس لك لقب تنادى به ·· وقد شغلنا هذا كثيرا ·

رابح : ولكنه لم يشغلنى ··

أحمد كبير: ان عندك دائما مايشغلك من سياسة أمور الرعية ، وتأكيد ملكك ، والعمل على نشر الاسلام فى البلاد المجاورة ، وقد رأينا أن نشغل أنفسنا بك مادمت تشغل قلبك بشعبك ·

السـلطان رابح : انى سأعتصم بالصمت · وسأقبل ما تشيرون على به ·

أحمد كبير: شكرا فقد عودتنا احترام رأى المجلس الشرعى ··

والآن أيها السادة · ما الذى تقترحونه لقبا لرابح ··

فقيه : لقد تم وضع الأسس التى يقوم عليها بناء هذه الدولة · ونريد الآن أن نكمل هذا البناء ولن يكمل هـذا البناء الا بتحديد شخصية رابح ··

فقيه : أقترح تسميته سلطان السلاطين رابح فضل الله ·

فقيه : أقترح تسميته شاهنشاه ··

فقيه : ولم لا يسمى سلطان سلاطين العرب ·

أحمد كبير: ولم نذهب بعيدا فنسميه سلطان السلاطين ، أو شاهنشاه ·· أو سلطان سلاطين العرب ·· انى أرى أن اللقب الذى استحقه بجدارة · وبعـرق وشجاعة · هو « سلطان برنو وملحقاتها » ·

رابح : فليسمح لى الفقهاء ·· برفع الصمت الذى أعلنته من فترة · وبموافقتى على هذا اللقب الجديد ·

أحمد كبير: والآن فلنفكر فى الحلة التى ستكون شعار هذه السلطنة ·

رابح : أقترح أن يرتدى غالى الثياب ·· وأن يضع على رأسه تاجا من الذهب ·

رابــح : ولكن الهزيمة تترك ندوبا فى الجيش ·· وعلى كل فلنتقدم هيا يا جيش رابح الى المعركة لقد انتصرتم دائما تحت رايتى فالى نصر آخر ··

(خطوات الخيل ·· موسيقى تصور المعركة موسيقى هادئة)

فقيــه ١ : ان جيشنا يخترق صفوف الأعداء ·

فقيــه ٢ : ان رابح يخفق كالعلم · ويتحرك كنسر ·

فقيــه ١ : ولكن ما هذا يا للهول ··

فقيــه ٢ : ان الفرنسيين يحولون الى رابح مدفعــا بعد أن فشلوا فى اصابته ·

فقيــه ١ : مدفع يا للهول ·

فقيــه ٢ : فلنخترق الصفوف لنقف من دونه ·

فقيــه ١ : فلنسرع ·

فقيــه ٢ : « صوت مدفع » لقد انطلق صوت المدفع ··

فقيــه ١ : ها هو السلطان يتهاوى ··

رابــح : ليست الشجاعة هى التى قتلتنى وانما التفوق الحربى ان جيشى لم يخذلنى ، ولكن الخونة من أهل البلاد ·

جنــدى : لقد قتلت الجنرال « لامى » قائد الفرنسيين ··

رابــح : « فى صوت متقطع » وما الفائدة ، فسيبقى هنا الفرنسيون ، بوساطة الخونة ·

فقــيه : ولكنك ستبقى أكثر منهم ·

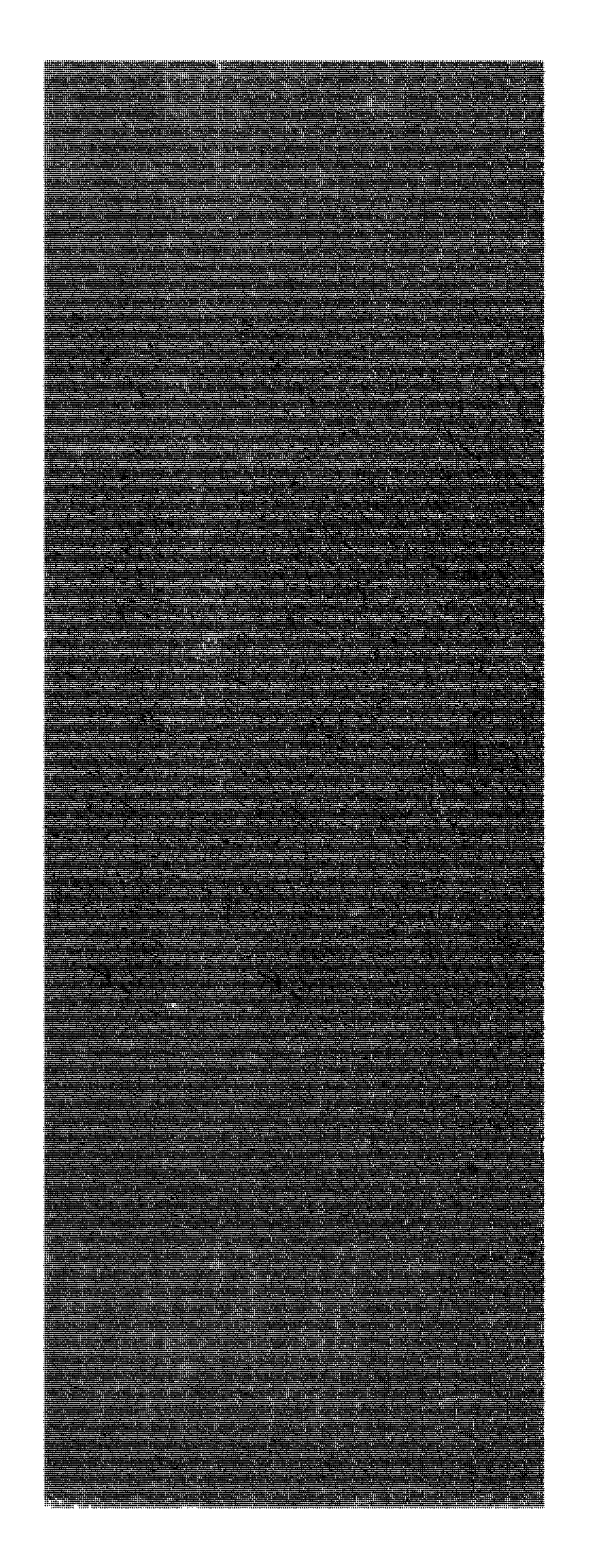
فقيــه ٢ : ستحس البلاد بك برغم بقائهم وذهابك الى ربك ··

رابــح : أودعك الآن · سأختفى عنكم·ولكن حين يخرج الفرنسيون سأعود · سأعود لقيادتكم فى ظلال الحرية أما الآن فالوداع·

تم بحمد الله

الفهرس

الدار القومية للطباعة والنشر



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ١١٢

١٩٦٥/٣/٢٣